دراسات في غُرَرِ الأدب الفاطمي
(١)

ابن القُمّ الزبيديّ

ورسالته إلى أبي حِمْيَر اليماني في المديح والاستعطاف

رُؤية في البناءين الموضوعي والفني

تأليف

دكتور نبيل محمد رشاد

أستاذ الدراسات الأدبية المساعد
كلية التربية جامعة عين شمس

مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة . ت : ٢٣٩٠٠٨٦٨

دراسات في غرر الأدب الفاطمي

(١)

ابـن القـم الـزَّبيدي

ورسالته في المديح والاستعطاف إلى أبي حمير اليماني

رؤية في البناءين الموضوعي والفني

تأليف

د. نبيل محمد رشاد مصطفى

كلية التربية – جامعة عين شمس

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٢م



٤٢ Opera square - Cairo – Egypt

الناشر
مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة ت: ٢٣٩٠٠٨٦٨

البريد الإلكتروني e.mail: adabook@hotmail.com





بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

مصطفى، نبيل محمد رشاد.

ابن القم الزَّبيدي ورسالته في المديح والاستعطاف إلى أبي حمير اليماني رؤية في البناءين الموضوعي والفني

تأليف: نبيل محمد رشاد مصطفى - ط١

القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٢.

١٢٠ ص؛ ٢٤ سم.

تدمك: ٠ ٤٨٩ ٤٦٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - الرسائل العربية – تاريخ ونقد

٢ - الشعراء العرب

أ - العنوان

٨١٦,٠٠٩

رقم الإيـــداع: ١٩٤١٤ / ٢٠١٢

الترقيم الدولي: I.S.B.N: 978-977-468-489-0

الناشر

مكتبة الآداب

على حسن

٤٢ ميدان الأوبرا – القاهرة ت: ٢٣٩٠٠٨٦٨

e.mail:adabook@hotmail.com

الإهـــداء

إلى أستاذي الجليل:

الأستاذ الدكتور/ أحمد سيِّد محمد

اعترافًا بما أسدى إلـيَّ مـن فضـل، ولمـا لـه مـن دراسـات قيمـة في آداب الفاطميين والأيوبيين

رحمه الله رحمة واسعة

ابن القُمِّ الزَّبيدي

ورسالته إلى أبي حمير اليماني

في المديح والاستعطاف

نُشر هذا البحثُ أولًا في مجلة كلية التربية عام (٢٠٠٥)

في القسم الأدبي، المجلد (١١)، العدد (٣)

من صفحة (١٣٤) إلى صفحة (٢٥٠)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

يدور موضوع هذه الدراسة حول الأديب الفاطمي أبي عبد الله الحسين بن علي بن محمد بن مموية المعروف بابن القم الزبيدي ورسالته في المديح والاستعطاف التي كتبها إلى السلطان أبي حمير سبأ بن أحمد الصليحي اليماني المتوفى ٤٩٢هـ.

وهو يأتي في إطار ما أبذل من جهد في سبيل إماطة اللثام عن النصوص الأدبية العالية التي تزخر بها أمهات مصادر التاريخ والتراجم رجاء وضعها في بؤرة الدرس الأدبي والنقدي(١).

ذلك أن الذي هداني إلى هذا الأديب ورسالته هو ابن شاكر الكتبي إذ ترجم في الجزء الأول من أجزاء موسوعته "فوات الوفيات" لابن القم ترجمة لا تزيد على سطرين، ثم أورد بعدها نص رسالته في المديح والاستعطاف التي بعث بها إلى سلطان زمانه سبأ بن أحمد الصليحي.

ولقد قرأت الرسالة فأعجبتني ووجدتها جديرة ببحث مستقل لأنها تدل على ثقافة كاتبها، وتعطي قارئها انطباعاً جيِّداً عن فن الترسل في اليمن في القرن الخامس الهجري.

ولأن المرسل، والمرسل إليه كليهما مجهولان غير معروفين، ولأن نص الرسالة قد شابه كثير من الخلل والاضطراب في المصادر التاريخية التي احتفظت به جاءت مباحث الدراسة على النحو التالي:

المبحث الأول: وهو بعنوان المرسل/ ابن القم ونتاجه الأدبي، وفيه تحدثت

---

(١) سبق أن قدَّمت في هذا المجال بحثاً عن رائية جمال الدين التبريزي في واقعة مرج الصُّفَّر، نشر بمجلة كلية التربية جامعة عين شمس، المجلد العاشر، العدد الثالث ٢٠٠٤م.

عن حياته وبيَّنْتُ أن تحديد تاريخي مولده ووفاته تحديداً دقيقاً أمرٌ يعز على الطلب، وانتقلت إلى علاقته بكبار رجالات عصره فجلوتها، وأشرت إلى ما كان يتصف به من محامد ومكارم، ثم فصَّلْت القول في أغراض شعره، وفي نثره ومنهجه في كتابة الرسائل الديوانية.

المبحث الثاني: وعنوانه المرسل إليه/ سبأ بن أحمد الصليحي ونشاطه السياسي والديني، وفيه تحدثت عن أربعة أمور هي على الترتيب: حياته وصفاته وأخلاقه، زواجه بالسيدة أروى بنت أحمد الصليحية، خلافه مع عامر بن سليمان الزواحي، جهوده في خدمة الدولة الصليحية.

ولقد اخترت هذه الأمور الأربعة للحديث عنها في هذا المبحث لأنها تفصح عن ملامح شخصيته، وعن المكانة السامقة التي وصل إليها في مجتمعه وبيئته وزمنه.

المبحث الثالث وعنوانه: رسالة المديح والاستعطاف نص محقق، وفيه قمت بتحقيق نص الرسالة تحقيقا تغًيا الوصول بالنص إلى ما يقارب الصورة التي كان عليها بين يدي كاتبه، مع خِدْمته بضبط بنيتيه الصرفية والنحوية ضبطا كاملاً، ووضعت عليه ما يربو على عشر ومائة هامش لإثبات الفروق الدقيقة بين روايات النص، وشرح غريب ألفاظه، ونسبة ما ورد به من أبيات شعرية إلى قائليها.

المبحث الرابع وكان موضوعه: التناص في رسالة المديح والاستعطاف، وتركز الحديث فيه على دور الموروث الشعري في بناء معمار النص.

ولقد تعاضد المنهجان الوصفي والتحليلي في جميع ما كتبت في مباحث هذه الدراسة، حيث كنت أصف النص الأدبي، وأحدد أطره الشكلية العامة، ثم أُرْدِفُ ذلك بتحليل بعض أجزائه تحليلاً يتغيا الوقوف على ما بها من أسرار الجمال.

رحم الله – تعالى – الحافظ أبا الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد السِّلَفِيّ (ت ٥٧٦هـ) الذي روى هذه الرسالة الرائعة فأسدى للأدب العربي يدًا لا تُنْسى، فلقد ظلت تتناقلها أفواه متأدبة العربية جيلا بعد جيل في عصري الأيوبيين والمماليك، واحتفظ ببعض فقراتها ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) في كتابه: معجم الأدباء، والشهاب محمود الحلبي (ت٧٢٥هـ) في كتابه: حسن التوسل إلى صناعة الترسل، وأوردها بتمامها الصلاح الصفدي (ت٧٦٤هـ) في كتابه: الوافي بالوفيات، وابن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ) في كتابه: فوات الوفيات نقلاً عن هذا الحافظ السكندري الجليل.

ولا يفوتني أن أدعو لأخي صاحب مكتبة الآداب الأستاذ أحمد عبده علي حسن بموفور الصحة، واطراد التوفيق، وإني لأذكر له هنا حرصه على نشر دراساتي في آداب الفاطميين، والأيوبيين، والمماليك في طبعات أنيقة فاخرة؛فله مني خالص الشكر، وصادق الود، ونديُّ الثناء.

د. نبيل محمد رشاد





الفصل الأول

المرسل/ ابن القم ونتاجه الأدبي



حياة ابن القم وملامح شخصيته

هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد بن مموية القم[1]، أو القمي الزبيدي اليمني، لا ندري متى ولد لأن جُلّ المؤرخين الذين ترجموا له لم يحددوا تاريخ مولده[2]، والمؤرخ الوحيد الذي نص على هذا التاريخ هو ياقوت

---

(١) في "السلوك في طبقات العلماء والملوك" للجندي: ابن ميمون. يراجع السلوك ١/ ٢٥٩، وفي هامش رقم ٣ من هذه الصفحة يقول المحقق: صححناه ابن ميمون إذ في الأصلين غير مفهوم. وأقول: لعل الذي كان في الأصلين ابن مموية كما أثبتنا نقلاً عن ياقوت، وابن شاكر، والصفدي.

(٢) ترجم له كل من:

أ- عمارة اليمني المتوفى ٥٦٩هـ في كتابه: "تاريخ اليمن" نشرة الدكتور حسين سليمان محمود في مواضع متفرقة، يراجع الصفحات ٥٣، ٦٠، ٦٥، ٨٨، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٥٥، ٢٨٨، ٣٢٤.

ب- العماد الأصفهاني الكاتب المتوفي ٥٩٧هـ في كتابه: "خريدة القصر، وجريدة العصر" قسم شعراء الشام بتحقيق الدكتور شكري فيصل يراجع ٣/ ٧٤ - ٩٩.

ج- ياقوت الحموي المتوفى ٦٢٦هـ في كتابه: "معجم الأدباء" يراجع ١٠/ ١٣٠ - ١٤٧. نشرة دار الفكر بيروت.

د- بهاء الدين الجندي المتوفى ٧٣٢هـ في كتابه: "السلوك في طبقات العلماء والملوك" نشرة محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي في مواضع متفرقة يراجع ١/ ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢/ ٤٩١.

هـ- محمد بن شاكر الكتبي المتوفى ٧٦٤هـ في كتابه: "الوافي بالوفيات" يراجع نشرة الدكتور إحسان عباس ١/ ٣٨١ - ٣٨٨.

و- صلاح الدين الصفدي المتوفى ٧٦٤هـ في كتابه: "فوات الوفيات" يراجع الجزء الثالث عشر من نشرة جمعية المستشرقين الألمانية باعتناء محمد الحجيري الصفحات من ٥ إلى ١٥.

ز- الداعي عماد الدين إدريس بن الحسن الأنف المتوفى ٨٧٢هـ في كتابه: "عيون الأخبار وفنون الآثار" الجزء السابع، يراجع نشرة الدكتور أيمن فؤاد سيد الصفحات ١٣٧، ١٦٢، ١٦٣، ١٧٤، ١٧٥.

الحموي إذ يقول "ولد بزبيد سنة ثلاثين وخمسمائة"[1].

ولقد أخطأ ياقوت شاكلة الصواب في هذا النص لأن لابن القم نصوصاً شعرية في رثاء الداعي علي بن محمد الصليحي المتوفى ٤٥٩هـ[2]، ونصوصاً في مدح المكرم أحمد بن علي الصليحي المتوفي ٤٧٧هـ[3]، والداعي سبأ بن أحمد الصليحي المتوفي ٤٩٢هـ[4]، ونصوصاً في عتاب جيّاش بن نجاح الحبشي المتوفى ٤٩٨هـ[5]، وكلها تدل على أنه كان حيًّا في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري.

والذي يهدينا إليه أقدم تواريخ هذه النصوص أن ابن القم كان شاعراً مرموقاً يغشى مجالس السلاطين، وينشد أشعاره في تخليد مآثرهم في العقد السادس من القرن الخامس الهجري، وإذا افترضنا أنه كان شاباً في الثلاثين من عمره أو دونها بقليل وقتذاك فإنه يترتب على ذلك احتمال أن يكون مولده في إحدى سنوات العقد الثالث من القرن الخامس الهجري.

ويقول المؤرخون إنه قد تربى في حجر والده علي بن محمد القم الذي كان

=ح- بامخرمة المتوفى ٩٤٧هـ في كتابه: "قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر" المجلد الثاني يراجع نشرة عبد الرحمن محمد جيلان صغير ٢/ ٢١٠٣ وما بعدها.

ط - الدكتور شوقي ضيف في كتابه: "تاريخ الأدب العربي - عصر الدول والإمارات - العراق، الجزيرة، إيران ص١٤٧ وما بعدها، وص٢١٥ وما بعدها.

(١) معجم الأدباء: ١٠/ ١٣٠.

(٢) الداعي علي بن محمد الصليحي مؤسس دولة الصليحيين باليمن، وسنورد كثيراً من أخباره في مواضع تالية من هذا البحث.

(٣) هو ابن الداعي علي بن محمد الصليحي، وخليفته من بعده، وسنورد كثيراً من أخباره في مواضع تالية من هذا البحث.

(٤) هو ابن أخي الداعي علي بن محمد الصليحي، وزوج سيدة ملوك اليمن أروى الصليحية، وسنخصُّهُ بترجمة فيما بعد.

(٥) هو زعيم دولة بني نجاح السنية في زبيد، وسنورد بعض أخباره في غضون البحث.

شاعراً مجيداً، ووزيراً من وزراء الأسعد بن شهاب والي زبيد من قبل الداعي علي بن محمد الصليحي[1] وفي هذا إشارة إلى أن ابن القم قد نُشِّئ في الحِلْية منذ نعومة أظفاره، وتشير الروايات التاريخية إلى أنه تأدب بزبيد، لكنها تضرب صفحاً عن ذكر أساتذته، ولا تشير إلى ما تلقاه على أيديهم من علوم[2]، ويبدو أن والده كان معلمه الأول الذي تلقى عنه الأدب والفنون، وبه تمهر في اللعب بالشطرنج على ما يشير إلى ذلك قول جيَّاش بن نجاح الذي أورده عمارة في تاريخه، قال عمارة: "قال جيَّاش: فلما أراد الله رجوع هذا الأمر إلينا[3] وتلاعبت أنا والحسين الشاعر ابن القم الشطرنج، وليس معنا إلا أبوه عليٌّ على سرير، وهو يُعَلِّمُ ولده فقال له أبوه: إن غلبت الهندي[4] أوفدتك على المكرم والسيدة بارتفاع هذه السنة، ودفعت لك الوفادة التي يدفعونها لعامل تهامة، وهي ألوفٌ من الدنانير، فتراخيت له حتى غلبني قصداً في التقرب إلى قلب أبيه، فطاش الحسين من الفرح، فسفه عليٌّ بلسانه، فاحتملته لأبيه"[5].

ويدلُّ هذا النص أيضاً على العديد من صفات ابن القم الإيجابية والسلبية كحدة الذكاء، وشدة الطموح، والرغبة في التعلق بخدمة الصليحيين، وسرعة الانفعال، والإسراف في إظهار الابتهاج والفرح، والاستطالة على الآخرين

(١) يراجع: تاريخ اليمن لعمارة، نشرة د. حسن سليمان محمود صفحة ٥٣.

(٢) يراجع خريدة القصر وجريدة العصر، للعماد الكاتب، قسم شعراء الشام ٣/ ٧٩. هامش رقم ٥.

(٣) يريد جيَّاش أن يقول: لما أراد الله أن يعود إلينا ملك اليمن...

(٤) تجدر الإشارة هنا إلى أن جيَّاش بن نجاح كان قد هرب إلى الهند أوائل عام ٤٦١هـ ومكث بها ستة أشهر ثم عاد أواخر العام نفسه إلى زبيد متخفيا في صورة رجل هندي يراجع تاريخ عمارة المسمى بتاريخ اليمن صفحة ٩٦، وقلادة النحر في وفيات أعيان الدهر لبامخرمة ٢/ ٢١٠٠.

(٥) تاريخ اليمن لعمارة صفحة ٩٨، وبغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد لابن الدَّيْبَع المتوفى ٩٤٤هـ تحقيق عبد الله محمد الحبشي صفحة ٥٣.

وإفحاش القول لهم.

ويشير هذا النص من ناحية ثالثة إلى أن ابـن القـم قـد التحـق بالخدمـة في البلاط الصُلَيْحيِّ في عهد المكرم أحمد بن علي الصليحي في أواخر عام ٤٦١هـ، وهو بالتالي يصحح ما وقع فيه الدكتور شوقي ضيف من السهو حـين ذكـر أن التحاق ابن القم بديوان الإنشاء الصليحي كان في عهد الداعي علـي بـن محمـد مؤسس دولة الصليحيين في اليمن[١].

وثمة نصان آخران لجياشٍ بن نجاح يرويهما عمارة اليمني في تاريخه يـدلان على ما يدل عليه النص السابقِ من ذكاء ابن القم وسـفهه، ومهارتـه في اللعـب بالشطرنج قال عمارة: "قال جياش: وخرج الحسين بن علي القمي الشاعر، وهو يومئذ رأس طبقة أهل زبيد في الشـطرنج فقـال لـي: يـا هنـدي، تحسـن تلعـب بالشطرنج؟ فَقُلْتُ: نعم، فتلاعبنا، فغلبته، فكاد أن يسطو عليَّ، ثـم دخـل علـى أبيه فقال له: غُلِبْتُ في الشطرنج، فقال له والده: ما هنا مَـنْ يغلبـك إلا جيَّـاش بن نجاح، وقد مات في الهند.."[٢]. وقال عمارة: "قال جياش: ولقد أذكـر يومـاً أن عليَّ بن القم عاد يوماً من دار السلطان إلى داره وهو مغتاظ، فلما سـكن غيظـه قال: اصعد يا هندي حتى ألعب معك، فلما أن لعبنا جاء الحسين ابنه، فضـرب عبداً له بالسوط فنالني طرفه وأنا غافل فتعاورت"[٣].

وألاحظ أن جميع الروايات التي ينقلها عمارة عن جياش بن نجاح تشي بأن ابن القم كان سفيهاً بذيئاً متطاولاً، فهل كان عمارة يهدف من وراء ذكـره هـذه الروايات إلى اطلاع القـارئ علـى رأي جيَّـاش في ابـن القـم؟ وهـل كـان رأي جيَّاش في ابن القم سيِّئاً إلى هذا الحد؟.

(١) تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، الجزيرة – إيران – العراق صفحة ١٤٧.

(٢) تاريخ اليمن لعمارة صفحة ٩٧.

(٣) السابق نفسه صفحة ٩٨.

أغلب الظن أن هذه الروايات لا تفصح عن رأي جيّاش في ابن القم بقدر ما تصور ما كان عليه ابن القم في مرحلة الشباب من الرعونة والطيش، ومع هذا لا نستطيع أن ننكر ما كان بين الرجلين من خلافٍ في:

أولاً: المذهب الديني حيث كان ابن القم يتشيع للصليحيين الذين يستمدون قوتهم ونفوذهم من سلطان أئمتهم من العبيديين بالديار المصرية، وكان جيّاش بن نجاح هو وأتباعه يستمدون قوتهم ونفوذهم من دولة الخلافة السنية العباسية في بغداد وسلطتها.

ثانياً: التوجه القومي: حيث كان ابن القم يرى أن الصليحيين أولى من النجاحيين بحكم اليمن لأن الصليحيين عربٌ يمنيون على حين أن النجاحيين من الموالي والعبيد الأحباش الذين زرعتهم دولة الخلافة العباسية زرعاً في أرض اليمن، ونصبتهم حكاماً على أهلها دون سند من رأي صحيح، أو نقل صريح.

ثالثاً: السياسة العملية: لأن ابن القم كان ناقماً على جيّاش بن نجاح، ويروي المؤرخون أن السبب في ذلك يرجع إلى ما كان من قتل جيّاش لقاضي قضاة اليمن الفقيه الشافعي أبي محمد الحسن بن محمد بن أبي عقامة، فلقد كان هذا القاضي فقيهاً جليلاً وإماماً في أنواع العلم شهير الذكر، وإليه تنسب الخطب العقاميَّة، وله شعرٌ فائق وترسُّلٌ رائق[1] وكان قد ولي القضاة للأسعد بن شهاب والي زبيد من قبل الصليحيين، وكان الأسعد يثني عليه ويقول: "أقام الحسن عني أمور الشريعة قياماً يُؤْمَنُ غيبه وَيُحْمَدُ عيبُه"[2]، وكان هذا القاضي قد تولى ما تولى من منصب القضاء بمجموعة من المؤهلات منها كفاءته العلمية، واستقامته وزهده، وصراحته وورعه، وكان يرى أن النجاحيين أولى بحكم اليمن من الصليحيين لأن النجاحيين من أهل السنة، والصليحيين من أهل الشيعة،

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك للجَنَدي ١/ ٢٥٢.

(٢) السابق ١/ ٢٥٤.

وهو الذي مهد السبيل لجيَّاش ابن نجاح للاستيلاء على زبيد، ومع هذا كافأه جيَّاش على صنيعه بالقتل، ولقد أغضب قتله اليمنيين، وانبرى ابن القم يعبر عن الرأي العام اليمني الغاضب وأخذ يكاتب جيَّاشاً ويعاتبه، و"ينقم عليه بما فعله بالحسن"[1]، ويُنْشِدُ في ذلك[2]:

أخطأت يا جيَّاش في قتل الحسن فقَأتَ به والله عين الزمن

وَيُنْشِد[3]:

تُفِرُّ إذا جَرَّ المكرِّمُ رُمْحَهُ وَتَشْجَعُ في من ليس يحلي ولا يمري

وأدى ذلك – بطبيعة الحال – إلى اتساع شقة الخلاف بين جيَّاش وابن القم، وبمقدورنا في ضوء ما سبق أن نصف هذا الخلاف بأنه متعدد الأبعاد، ولقد كان حرياً بالنصوص التاريخية والأدبية المتبقية من آثار الرجلين أن تكون أكثر إفصاحاً عن سوء رأي كلٌ منهما في الآخر لكنّا لا يجب أن ننسى في هذا السياق ما تعرضت له آثار الرجلين من تشويه وتحريف فلقد ألف جيَّاشٌ كتاباً في تاريخ زبيد اسمه "المفيد في تاريخ صنعاء وزبيد" سبَّ فيه آل أبي عقامة فما كان منهم إلا أن بالغوا في إعدامه يقول الجندي: "ولم يسمعوا منه بنسخة إلا اشتروها وأعدموها فلذلك قلّ وجوده"[4]. كما تعرض شعر ابن القم في هجاء جيَّاش إلى ما تعرض له كتاب جيَّاش من الإتلاف والمصادرة لأن بني أبي عقامة كانوا "ينقمون على ابن القم، ويقولون: قتل صاحبنا أهون علينا من قوله: لا يحلي ولا يمري"[5].

---

(١) السابق ١/ ٢٥٥.

(٢) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) السلوك في طبقات العلماء والملوك للجَنَدي ١/ ٢٥٥، وعنه يقول بامخرمة "وهو عزيز الوجود، بل هو من قديم مفقود". ينظر قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ٢/ ٢١٠٢.

(٥) السلوك في طبقات العلماء والملوك للجندي ١/ ٢٥٥.

ولقد أثنى على ابن القم غير واحد من مؤرخي اليمن فها هو ذا عمارة اليمني يقول عنه: "وكان من علو الهمة، وسمو القدر فيما يلبسه ويمتطيه على غاية منيفة، وجملة شريفة ظريفة"[1]، ويقول عنه بهاء الدين الجندي: "ومناقب ابن القم في الفضل والأنفة على أهله في النسب والصنعة كثيرة"[2]، ويعرفه المؤرخون وكتاب التراجم شاعراً فحلاً، وكاتباً مجيداً يقول عمارة "وكان شاعراً ومترسلاً يكتب عن الحرة السيدة إلى الديار المصرية، والأقطار النازحة"[3] ويقول ياقوت: "كان أديباً كاتباً شاعراً من أفاضل اليمن المبرزين في النظم، النثر، والكتابة"[4]، ويقول الجَندي: "وأما هذا حسين فمعدود من فضلاء اليمن، ورؤساء شعرائها، وكان من المكثرين والشعراء المفلقين، وكانت له خطوة ومنزلة عند الملوك لفضله وشعره"[5]، ولهذه الكثرة والجودة صار شعر ابن القم طبقة عالية يقاس بها غيرها من طبقات الشعراء يقول عمارة عن قاضي صنعاء يحيي بن أحمد ابن أحمد ابن أبي يحيي "وهو في الشعراء عند أهل اليمن في طبقة ابن القم"[6].

وعن أمارات تبريزه في الكتابة يقول الدكتور شوقي ضيف "وكأن ابن القم كان استهلالاً قويًا لأن تأخذ اليمن منذ عصره في العناية برسائلها الديوانية عناية يعمُّ فيها غير قليل من التنميق"[7].

ولقد فارق شاعر اليمن وكاتبها أبو عبد الله الحسين بن القم الحياة في

---

(١) ينظر خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الكاتب قسم شعراء الشام ٣/ ٧٩ هامش رقم ٥، والسلوك في طبقات العلماء والملوك للجندي ١/ ٢٥٩.

(٢) السلوك في طبقات العلماء والملوك ١/ ٢٦٠.

(٣) ينظر: خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء الشام ٣/ ٧٩ هامش رقم ٥، والسلوك للجندي ١/ ٢٥٩.

(٤) معجم الأدباء ١٠/ ١٣٠.

(٥) السلوك ١/ ٢٥٨.

(٦) تاريخ اليمن صفحة ٨٨.

(٧) تاريخ الأدب العربي، عصر الدول الإمارات، الجزيرة، إيران، العراق صفحة ٢٠٩.

أواخر القرن الخامس الهجري لأن أبا محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بامخرمة قد ترجم له ضمن وفيات العشرين الخامسة من المائة الخامسة[1].

وكما أخطأ ياقوت الحموي في تحديد تاريخ ميلاد ابن القم أخطأ - أيضاً - في تحديد تاريخ وفاته حيث زعم أنه توفى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة[2].



(١) قلادة النحر ٢/٢١٠٣.

(٢) معجم الأدباء ١٠/ ١٣٠.



آثاره الأدبية ومظانها

أ- ديــوان شعره:

أول من أشار إلى ديوان شعر ابن القم الدكتور حسين بن فضل الله الهمداني اليعبري الحرازي في كتابه الذي أخرجه بالاشتراك مع الدكتور حسن سليمان محمود بعنوان "الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن" عام ١٩٥٥م بالقاهرة، وذلك حيث قال: "توجد في المتحف البريطاني أوراقٌ منتزعة من ديوانه وشعره."[1]، ثم أشار إليه مرتين بعد ذلك الدكتور حسن سليمان محمود في نشرته لكتاب عمارة التي طبعت لأول مرة عام ١٩٥٧م بالقاهرة، أما المرة الأولى التي أشار إليه فيها فكانت عند تعريفه بابن القم بهامش رقم ٢ من صفحة ٢٢٨ وفيها يقول: "وتوجد بالمتحف البريطاني أوراقٌ منتزعة من ديوانه وشعره"، والملاحظ أنها تتطابق حرفيا مع إشارة الدكتور حسين بن فضل الله مما يرجع عندي أنها مأخوذة منه، وأما المرة الثانية فكانت بالحاشية رقم ٦ من صفحة ٣٢٤ وفيها يقول بعد أن نقل نصًّا شعريا لابن القم في رثاء الداعي علي بن محمد الصليحي على لسان أخته السيدة تحفة: "مخطوطة مصورة لديوان أبي عبد الله الحسين بن علي بن محمد القم بالمتحف البريطاني تحت رقم ٤٠٠٤".

وثالث من أشار إلى هذا الديوان هو الدكتور أيمن فؤاد سيد الذي يقول "كما تحتفظ المكتبة البريطانية تحت رقم ٤٠٠٤ بنسخة من ديوان شعره."[2].

وتقف أمام الدارسين من أهل السنة من أمثالنا عوائق كثيرة تحول بينهم وبين الوصول إلى هذا الديوان وأمثاله من مؤلفات أئمة الشيعة، ولقد أطنب في الحديث عن هذه العوائق الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد في مقدمة دراسته عن

---

(١) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن صفحة ١٣٠، هامش رقم ٣.

(٢) عيون الأخبار، وفنون الآثار ٧/ ١٦٢ - ١٦٣ هامش رقم ٥.

السبع السابع من كتاب الداعي عماد الدين إدريس المسمى بعيون الأخبار، وفنون الآثار[1].

لكنا نستطيع دراسة نصوص شعره من خلال ما عرف سبيله منها إلى بطون كتب التاريخ والتراجم، فلقد احتفظ عمارة اليمني في تاريخه بمجموعة لا بأس بها من هذه النصوص[2]، وأورد له العماد الكاتب في خريدته خمسة وثلاثين نصا تحتوي على خمسة وستين ومائة بيت، وأورد له الداعي عماد الدين إدريس قصيدته الرائية التي قالها في الدعوة إلى الأخذ بثأر الداعي الصليحي علي بن محمد، ويبلغ عدد أبياتها ثلاثة وعشرين بيتا[3]، وأورد له ياقوت الحموي أربعة نصوص تحتوي على خمسة عشر بيتا[4]، ومن ثمّ فإن جملة ما يمكن جمعه من هذه الكتب يصل إلى أربعين نصا وهو عددٌ ليس بالقليل، وكافٍ – في تصوري – لتكوين صورة واضحة المعالم عن الرؤية الفكرية والتشكيل الجمالي في شعره.

ب– رسائله:

ولقد كان الدكتور حسين بن فضل الله الهمداني هو أول من أشار – أيضا – إلى أن لابن القم مجموع رسائل حيث قال: "ويوجد في مكتبتنا المحمدية الهمدانية نسخة خطية من مجموع المكاتيب التي ألفها على لسان السلاطين

---

(١) السابق نفسه: المقدمة صفحة

(٢) لتاريخ عمارة نشرتان أولاهما هي التي اعتمدت عليها في هذا البحث وهي نشرة د. حسن سليمان محمود، وهي تخلو من إيراد أي نصوص شعرية لابن القم ولغيره من أدباء اليمن، والأخرى وهي نشرة القاضي محمد بن علي الأكوع وهي التي تشتمل على حد قول الدكتور أيمن فؤاد سيد على أخبار الشعراء والأدباء اليمنيين ولم أستطع الوصول إليها، ويرى الدكتور أيمن فؤاد سيد أن ما سقط من نشرة د. حسن سليمان قد ضمنه العماد الكاتب في خريدته ينظر عيون الأخبار ٧/ ٢٩.

(٣) عيون الأخبار وفنون الآثار ٧/ ١٣٧ – ١٣٨.

(٤) معجم الأدباء ١٠/

الصليحيين"[1]. وعلى هذه النسخة الخطية من المكاتيب اعتمد الدكتور الهمداني فيما كتب عن علاقة الصليحيين بأئمتهم من العبيديين بالديار المصرية، وأطلق عليها اسم: "رسائل القمي".

ثم أشار إليها بعده الدكتور حسن سليمان محمود حيث قال: "وله كتابٌ باسم مجموع الرسائل اطلعت عليه شخصيًّا، وموجود منه نسخة خطية بالمكتبة المحمدية الهمدانية."[2].

ثم أشار إليها بعدهما الدكتور أيمن فؤاد سيد الذي يقول "وهو صاحب مجموع الرسائل المعروفة رسائل ابن القم، وهي مجموعة رسائل كتبها بلسان الصليحيين باليمن إلى الأئمة الفاطميين بالقاهرة، ومنها نسخة بالمكتبة المحمدية الهمدانية، وعندي منها صورة أمدني بها مشكوراً الدكتور عباس الهمداني."[3].

وتجدر الإشارة ها هنا إلى أن الدكتور حسين الهمداني كان قد نشر رسالة من رسائل هذا المجموع ضمن مجموعة الوثائق والنصوص التي ألحقها بآخر كتابه عن الصليحيين، وهي رسالة يشرح فيها ابن القم بلسان المكرم أحمد للخليفة الفاطمي المستنصر بالله كيف استطاع الصليحيون القضاء على الفتنة التي نجمت بوفاة الداعي علي بن محمد الصليحي مؤسس الدولة الصليحية في اليمن.

ويدور جهد الدكتور حسين الهمداني حول خدمة نص هذه الرسالة في دائرتين:

الأولى: تصويب ما بالأصل الذي اعتمد عليه في نشرها من أخطاء إملائية، ونحوية، ولغوية مع التنبيه في الهامش على ما كان بالأصل من خطأ.

---

(١) الصليحيون صفحة ١٣٠ هامش رقم ٥.

(٢) تاريخ اليمن صفحة ٢٢٨، ٢٢٩.

(٣) عيون الأخبار، وفنون الآثار ٧/ ١٦٢ – ١٦٣ هامش رقم ٥.

والأخرى: الإشارة في هوامشه إلى ما بالأصل الذي اعتمد عليه من كشط مع ترك مكانه في متن الرسالة خاليا أو تكميله بما يناسب المعنى.

ولقد بلغ عدد الهوامش التي صنعها الدكتور حسين الهمداني حول هاتين الدائرتين خمسين هامشاً، وهو عددٌ كبير دون أدنى شك، ولكن تبقى الرسالة بعد ذلك بحاجة إلى أن تنشر نشراً علميًّا يتغيًّا الأهداف الآتية:

أ- ضبط متنها ضبطا نحويا وصرفيًّا حتى تستوي أمام الدارس الأدبي نصًّا أدبيًّا سليماً من الخطأ واللحن وذلك لأن الدكتور الهمداني لم يضبط النص مطلقاً.

ب- تخريج ما بها من الآيات القرآنية الكريمة وذلك لأن الدكتور الهمداني لم يخرج ما بالنص من آيات.

ج- ضبط أسماء الأماكن والبلدان الواردة بالنص والتعريف بها، مع الاستعانة في ذلك بالمعاجم الجغرافية المعاصرة.

د- التعريف بالأعلام الواردة بها تعريفاً دقيقا يحدِّد - ما أمكن - الدور الذي قام به هؤلاء الأعلام من نشاط سياسي، أو أدبي في القرن الخامس الهجري.

هـ- الإشارة إلى ما بالنص من أحداث تاريخية، أو وقائع حربية.

و- شرح غريب لفظها شرحاً موجزاً، لأنها تغص بالغريب، والحوشي، والمهمل من ألفاظ اللغة، ولم يقم الدكتور الهمداني بشرح شيء منه.

ولابن القم رسالة مطولة في المديح والاستعطاف كتبها إلى الملك الأوحد سبأ بن أحمد الصليحي أشار إليها واستحسنها عددٌ من المؤرخين القدماء، من مثل بهاء الدين الجندي الذي يقول في حقه وحقها "ولو لم يكن له من الترسل إلا

الرسالة المشهورة التي كتبها إلى الداعي سبأ الآتي ذكره في الملوك والدعاة لكفاه[1]، وأبي محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بامخرمة الذي يقول في الثناء عليه بها "هو أحد شعراء اليمن الفصحاء، يعدونه في اليمن كالمتنبي في الشام والعراق، وشهد بذلك رسالته وقصيدته إلى الداعي سبأ بن أحمد الصليحي"[2].

ولقد احتفظ بنص هذه الرسالة كلٌ من ياقوت الحموي المتوفى ٦٢٦هـ في معجم الأدباء ، وابن شاكر الكتبي المتوفى ٧٦٤هـ في فوات الوفيات، والصلاح الصفدي المتوفى ٧٦٤هـ في الوافي بالوفيات.

وعلى الرغم من توفر عددٍ من الأساتذة المتخصصين على إخراج هذه المصادر الثلاثة محققة تحقيقاً علميًّا إلا إن نص الرسالة قد شابه كثير من مظاهر الخلل والاضطراب مما دفعني إلى تحقيقها، وهو الأمر الذي تكفل به الفصل الثالث من فصول هذه الدراسة.



(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك ١/ ٢٥٨.

(٢) قلادة النحر ٢/ ٢١٠٣.

أغــــراض شعــــره

١- إذا كان موضوع رسالة ابن القم التي نتعرض لها بالتحليل والدرس هو المديح والاستعطاف فإن جانبًا كبيرًا من شعره يدور - أيضا - حول المديح والعتاب، فلقد أورد له العماد الكاتب في خريدته عددًا كبيرًا من النصوص الشعرية التي قالها في هذين الغرضين الشعريين[١].

أ- المديح:

والجدير بالذكر أن الممدوح الذي استأثر بالنصيب الأكبر من هذه القصائد هو السلطان الأوحد سبأ بن أحمد بن المظفر بن علي الصليحي الذي تولى الحكم بالنيابة في اليمن بعد وفاة ابن ابن عمه المكرم أحمد بن علي بن محمد بن علي الصليحي عام أربعة وثمانين وأربعمائة من الهجرة[٢]، وظل في حكمها إلى أن وافته المنية عام اثنين وتسعين وأربعمائة من الهجرة[٣]، وقد امتدحه شاعرنا بسبع قصائد ومقطوعات من مجموع ما وصل إليَّ من نصوص شعره في هذا الغرض، وهو تسعة نصوص ومن ذلك قوله[٤]:

إن ضامك الدهر فاستعصم بأشيح أو ∴ أزرى بك الفقر فاستمطر بنان سبا

ما جاءه طالبٌ يبغى مواهبَه ∴ إلا وأزمع منه فقره هربا

تخال صارمَه يوم الوغى نهرًا ∴ تضرَّمَتْ حافَّتاه من دمٍ لهبا

بنى المظفر ما امتدت سماءُ علاً ∴ إلا والفيتم في أفقها شهبا

إن امرءًا كنت دون الناس مطلبه ∴ لأجدر الناس أن يحظى بما طلبا

والشاعر يستهل هذه الأبيات بتوجيه الخطاب إلى صاحبه على سبيل إسداء

---

(١) خريدة القصر، وجريدة العصر للعلماد الكاتب - قسم شعراء الشام ٣/ ٧٤ وما بعدها.

(٢) غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ليحيي بن الحسين بن القاسم بن محمد ١/ ٢٧٤.

(٣) السابق نفسه ١/ ٢٧٩.

(٤) خريدة القصر. قسم شعراء الشام ٣/ ٨٠.

النصيحة قائلا له: إن جار عليك الزمان فالجأ إلى الحصن الذي يسمى بأشيح، واطلب العصمة به، والحماية من بطش الأيام، وإن عضك الفقر فما عليك إلا أن تولي وجهك شطر سبأ بن أحمد فإن أطراف أصابعه تنهمر على أتباعه ومريديه بالخير كما ينهمر الغيث النازل من أبواب السماء على الأرض الحديبة.

وقد أراد ابن القم أن يعجِّب صاحبه أو مُحَدِّثه من كرم سبأ بن أحمد فالتفت في البيت الثاني من الخطاب إلى الغيبة حيث تحدث عن الممدوح وأفصح عن خلاله فقال: ما وفد عليه وافد يطلب رفده إلا وأعطاه الغمر الكثير الذي يُذْهِبُ الفقر، ويجعله يولّي إلى غير رجعة.

وفي ثلاثة الأبيات الأخيرة يرجع الشاعر من الغيبة إلى الخطاب ليذكر لصاحبه في البيت الثالث أن الممدوح لا ينفك يعطي ويمنح حتى في أوقات الشدائد والحروب، وليتوجه في البيت الرابع بالمديح إلى بنى المظفر، وهم قوم الممدوح وعشيرته الأقربون، ثم ينهى الأبيات بمخاطبة السلطان نفسه قائلاً له: إن امرءًا يقصدك دون غيرك من الناس طالباً رفدك لجديرٌ بأن يجاب إلى طلبه.

ومن هنا تظهر براعة الشاعر، ومقدرته على التفنن في المديح إذ لم يعمد إلى كيل الثناء كيلاً مباشرًا وإنما جرَّد من نفسه صاحبا أو خليلا توجه إليه بالنصح، ثم أخذ يحكي لصاحبه هذا نوادر وغرائب من كرم الممدوح أقامها مقام الدليل على جوده وسخائه، ثم صوَّر له حال الممدوح في ساعة الحرب إذ هو فارس مغوار يخوض في المعامع ويخرج ظافراً منتصرًا، ومع هذا لا تشغله الجحافل التي يقاتلها عن أداء ما يجب عليه تجاه قاصديه حتى إنك لتنظر إلى سيفه فتظنه نهراً من شدة بريقه ولمعانه، وتنظر إلى ما على السيف من دماء الأعداء فتخالها لكثرتها وشدة حمرتها ناراً أوقدها الممدوح على حافتي النهر للقرى.

وما إن بلغ الشاعر هذه المرحلة من الخطاب حتى توجه بالكلام إلى قوم الممدوح مثنيًا عليهم، وواصفا إياهم بالشهب، وهو وصف بالغ الدلالة ها هنا

لأن الشهب أجرام لها خاصية الإضاءة والإحراق، فهي لامعة وخلابة، وهي في الوقت نفسه حارقة ومدمرة للمردة والشياطين، ولا يجب أن ننسى في هذا السياق أن بني المظفر هؤلاء شيعة فاطميون، وكأن الشاعر يمتدحهم بما استقرّ في عقائدهم من أنهم الهداة المعصومون الذين تضيء وجوههم بنور الحق الساطع، وتتجلى بركاتهم فيما يُمْنَى به أعداؤهم من الخيبة والنكال.

ثم جاء خطاب الممدوح في آخر أبيات النص في غاية الوجازة التي تتطلبها مخاطبة الملوك والسلاطين ومع هذا لم يخل من الإشارة إلى ما يريد الشاعر من حض الممدوح على الإحسان إلى صاحبه.

ويلح الشاعر على هذين المعنين – أعني الشجاعة والكرم – في جميع ما امتدح به سبأ بن أحمد من نصوص فها هو ذا يقول في قصيدته اللامية[1]:

مليكٌ يَفُضُّ الجيشَ والجيشُ حافِلٌ ∴ ويُخجِلُ صوبَ المزْنِ والمزْنُ هاطِلُ
سحابٌ غواديه لُجَيْنٌ وعَسْجَدٌ ∴ وليثٌ عواديه قنًا وقنابلُ
توقّى الأعادي بأسَه وهو باسمٌ ∴ ويرجو الموالي جودَه وهو صائِلُ

والشاعر في هذه الأبيات يرسم صورة زاهية للممدوح إذ هو يفض الجيش، ويخجل صوب المزن، ولاحظ دلالة التعبير بالفعلين المضارعين "يفض"، و"يخجل" إنهما يوحيان بتجدد الحدث واستمراره وهذا بدوره يؤدي إلى ترسيخ الاعتقاد بأن شجاعة الممدوح وسماحته صفتان ملازمتان له، وليستا صفتين عارضتين أوجبتهما ظروف خاصة.

وهذا الذي قيل في هذين الفعلين يمكن أن يقال مثله في الفعلين: "تَوَقَّى"، و"يرجو" في البيت الثالث فإنهما فعلان مضارعان غير أن أولهما حذفت إحدى تاءيه، وهما يدلان – أيضا – على تجدد الحدث واستمراره والمعنى أن الشاعر يريد أن يقول: إن الأعادي يتوقوْن بأسه في السِّلْم كما يتوقون بأسه في الحرب، وإن الموالي يرجون جوده في شدته، كما يرجون جوده حال بلهنيته.

---

(١) الخريدة، قسم شعراء الشام ٣/ ٨٨.

وتظهر مدائح ابن القم في سبأ بن أحمد أن هذا السلطان كان يتعهد مواليه وأتباعه بالعطاء حتى ولو كانوا بمنأى عنه. يقول الشاعر حاكيا تجربة شخصيته[1]:

كَتَبْتُ إليه والمفاوزُ بيننا ∴ فكان جوابي جودُ كفَّيْه لا الكُتبُ

وما كنتُ أدري قبل قطع هباتِهِ ∴ إليَّ الفيافي أنَّ النِّعَمَة ركبُ

وفي القصيدة نفسها يتحدث الشاعر عن خصلة أخرى من خصال سبأ، وهي ثناؤه على طالبي رفده، وتواضعه لهم. يقول[2]

ويُثْني على قُصَّادِهِ فكَأنَّهُ ∴ يُجَادُ بما يُجْدِي ويُحْبَي بما يَحْبُو

وهذا الذي امتدح به الشاعر سبأ بن أحمد ليس محض مبالغة من شاعر متملق يتغيا التكسب بالشعر، فلقد أثنى المؤرخون وكتاب التراجم على هذا السلطان فقال يحيي بن الحسين بن القاسم "كان شجاعا كريما، شاعرًا فصيحا، يثيب على الشعر، ويمدح مادحه"[3]، وقال حسين بن فضل الله الهمداني اليعبربي الحرازي "وكان فاضلا ورعا تقيا زاهدا، وكان فوق ذلك كريم الأخلاق، طيب الأسباب والأعراق"[4].

وبهذا يتضح أن الشاعر لم يكن يرسم في هذه النصوص وغيرها صورة مثالية لما ينبغي أن يكون عليه الحاكم أو السلطان، وإنما كان يرسم صورة واقعية لحاكم عرفه عن كثب، وعاش معه مدة طويلة في قصر أشيح[5].

والملاحظ أن ابن القم كان يدفعه الإعجاب بمليكه إلى اهتبال كل مناسبة للإطراء عليه ومديحه فلقد روى المؤرخون أن سبأ بن أحمد اصطحب شاعرنا

---

(١) خريدة القصر – قسم شعراء الشام ٣/ ٨٧.

(٢) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) غاية الأماني في أخبار القصر اليماني ١/ ٢٧٤.

(٤) الصليحيون. صفحة ١٥٩.

(٥) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

معه يوماً وهو يتفقد ما بحديقة قصره من أسود وكلاب، وكان السلطان على ما يبدو يقدم لها الطعام بنفسه، ولاحظ الشاعر أن أسداً منها لم يقدم على الأكل من الفريسة التي طرحها السلطان أمامه فأنشأ يقول[1]:

يا أكرمَ النَّاس في بُؤْسٍ وفي نِعَمِ ∴ وَخَيْـرَ سـاعٍ إلى مَجْـدٍ على قَـدَمِ

لا تعجبنْ لعموم الأمـنِ في بلـدٍ ∴ أضحيتَ فيها فأضحتْ منك في حَرَمِ

أما ترى الليثَ لَمَّا أنْ طرحتَ له ∴ فريسـةً حـاد عنهـا وهـو ذو قُـدَمِ

ملأتَ بالخوفِ أكبادَ الورى ذُعْرًا ∴ فعبدُكَ اللَّيْثُ لا يسطو على الغَنَمِ

والشاعر في هذه الأبيات يثني على سياسة الحزم والشدة التي انتهجها السلطان في تدبير شئون مملكته ويشير إلى أن هذه السياسة قد أدت إلى استقرار الأمور، واستتباب الأمن في ربوع البلاد، وهذا بلا ريب مما يمتدح به الملوك في الشعر إلا أن الشاعر قد خانه التعبير في البيت الأخير، لأنه فيما أتصور يوحي بأن هذا السلطان قد ساس الناس بالقهر والبطش، والتسلط والجبروت والظلم.

ومن المواضع التي أخفق فيها الشاعر في امتداح هذا السلطان قوله من قصيدة:

لولا المخافة مِنْ أنْ لا تدومَ له ∴ إرَادةُ البـذْلِ أعطتْ نفْسَهَا يَدُهُ[2]

كأنَّهُ خاف أنْ يَنْسَى السَّماحَ فما ∴ يـزالُ منـهُ لـهُ درسٌ يـرَدِّدُهُ

لأن هذين البيتين يوحيان بأن السلطان يعطي ويمنح تطبُّعًا لا طَبْعًا، ففي البيت الأول يتحدث الشاعر عمَّا يتلبَّسُ السلطانُ من الخوف لحظة العطاء فيقول: إنه يريد أن يعطي، وإنه ليريد أن يعطي بسخاء، وإنه ليريد أن يجود بأغلى ما يملك، بنفسه التي بين جنبيه لكنه لا يفعل بل ينتهج في العطاء سبيل التوسط والاعتدال كي تدوم له إرادة البذل، وفي البيت الثاني يصوره رجلاً

(١) الخريدة، قسم شعراء الشام ٣/ ٩٠.

(٢) الخريدة: قسم شعراء الشام ٣/ ٨٣.

بخيلاً شحيحاً يحاول بالعطاء المستمر، والبذل المتواصل أن يعود نفسه الأريحية والجود.

ولقد امتدح ابن القم عددًا من شخصيات البيت الصليحي الذين حكموا اليمن بعد سبأ بن أحمد من مثل السيدة الحرة أروى بنت أحمد الصليحيَّة التي يقول فيها من قصيدة[1]:

أعلى الأنام أبًا، وأكرم طيبةً ∴ وأتمُّ أعراقًا، وأصلبُ عودا

لو كان يُعْبَدُ للجلالة في الورى ∴ بَشَرٌ لكانت ذلك المعبودا

هي نعمة الله التي ماؤها ∴ ثمدا ولا معروفُها مجحودا

هي رحمة الله التي ما زال من ∴ فوق البريَّةِ ظلُّها ممدودا

والشاعر في هذه الأبيات يمتدح السيدة الحرة بصراحة النسب، وعراقة الأصل، وقوة الشكيمة التي تتمثل في صلابة العود، وكأنه يشير إلى ما تميزت به هذه السيدة من الحزم في إدارة شئون البلاد بعد وفاة زوجها سبأ بن أحمد حيث "تحصَّنَتْ بما تملك من معاقل، وتولَّت ما كانتْ تحكم من حصون، وأقامت لها وزراءَ عمالا، واستطاعت أن تُطِيْل حكم الصليحيين أربعين سنة بعد أن كاد يَضْعُف أمرهم."[2]، وفي البيت الثاني من هذه الأبيات يشير الشاعر إلى ما كانت عليه هذه السيدة من الجمال والحسن، والبهاء والإشراق، كما يشير إلى المكانة السامية التي احتلتها هذه المرأة في قلوب رعاياها حيث تغلغل حبها في كل قلب، وأصبحت في قلوب اليمنيين رمزاً دالاً على الجمال والحب مثلها في ذلك مثل حتحور عند قدماء المصريين، أو أفروديت عند اليونانيين القدماء.

ويستوقفنا وصفه لها في البيت الثالث بقوله: "هي نعمة الله" لأنه يشير به -

(١) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ١٤٦.

(٢) من تقدمه الدكتور شكري فيصل لقسم فضلاء اليمن من خريدة القصر يراجع: الخريدة: قسم شعراء الشام ٣/ ٧٣.

في غالب الظن – إلى ما أصاب اليمن في عهدها من رغد العيش فقد روى المؤرخون من مآثرها أنها اهتمت "برعي المواشي، وتحسين النسل لكي توفر للشعب بمختلف طبقاته اللحوم والألبان"[١]، وأنها اهتمت بتعبيد الطرق، وبناء المدارس، والمساجد[٢]، وعملت على نشر العدل، وإقامة الحدود، وولت من الوزراء والعمال من عفّ عما بأيدي الناس من مثل الأمير المفضل بن أبي البركات الحميري، والأمير الموفق علي بن إبراهيم بن نجيب الدولة[٣].

كما يستوقفنا وصفه لها في البيت الرابع بقوله: "هي رحمة الله" لأنه يشير في غالب الظن إلى ما كانت عليه من الورع والتقى والصلاح قال عماد الدين بن الحسن القرشي المتوفى ٤٧٢هـ "وكانت امرأة فاضلة ذات نسك وورع وفضل، وكمال عقل وعبادة وعلم، تفوق الرجال فضلاً عن ربّات الحجال"[٤].

ب- العتاب:

لابن القم ثمانية نصوص شعرية في العتاب أوردها العماد الكاتب في خريدته، ونصٌ واحدٌ أورده ياقوت الحموي في معجم الأدباء، ومن ثمَّ فإن مجموع ما لدينا من شعر صاحبنا في هذا الباب تسعة نصوص يبلغ عدد أبياتها أربعة وخمسين بيتا.

ومن هذه النصوص قوله معاتبا سبأ بن أحمد[٥]:

أبا حمير إنَّ المعالي رخيصةٌ ∴ ولو بُذِلَتْ فيها النفوسُ الكرائمُ

وجدْتُ مطارًا يا ابن أحمد واسعًا ∴ إلى غرضٍ لو ساعدتْني القوادِمُ

وما أنا إلا السَّهمُ لو كان رائِشٌ ∴ وما أنا إلا النَّصلُ لو كان قائمُ

---

(١) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٢٠٥.

(٢) السابق نفسه ص ٢٠٦.

(٣) السابق نفسه ص ١٦٥ وما بعدها، ص ١٦٨ وما بعدها.

(٤) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ١٤٣، ١٤٤.

(٥) الخريدة، قسم شعراء الشام ٣/ ٩٣ – ٩٤.

ولا عارَ إن جار الزمانُ وإنْ سطا ∴ إذا لم تخني همتي والعزائمُ

فلا تحتقر جفنًا يبيتُ مُسهَّدًا ∴ لِيُدْرِكَ ما يهوى وجفنُكَ نائِمُ

وقوله – أيضا – في معاتبته[1]:

إذا تضايَقَ عن رحلي فِنَا مَلِكٍ ∴ وسعْنني أبدًا دونهِ الهمَمُ

كُلُّ البلادِ إذا لم تَنْبُ لي وطنٌ ∴ وكلُّ أرضٍ إذا يممتُها أَمَمُ

وهذان النصان يدلان على ما حدث بين الشاعر ومليكه من الجفاء والقطيعة، ومن الممكن أن يعود تاريخ هذين النصين إلى سنة ٤٨١هـ إذ تشير المصادر التاريخية إلى ما حدث في هذه السنة من خيانة والد شاعرنا لوزير الصليحيين الأسعد بن شهاب بعد ما حدث من المنافرة بينهما، حيث تآمر مع جيّاش بن نجاح للاستيلاء على زبيد[2]، ويبدو أن سبأ بن أحمد قد أخذ شاعرنا بجريرة والده فتنكر له، وقلب له ظهر المجَنّ[3]، وكان الشاعر في سن الفتوة والشباب فأبت نفسه أن ترضح لظلم سبأ فولى وجهه شطر جياش بن نجاح وخاطبه قائلاً[4]:

أذاع لساني ما تُجِنُّ الأضالِعُ ∴ وأعرَبْنَ عمَّا في الضمير المدامِعُ

وإني مما يُحْدِثُ الهجْرُ جازِعٌ ∴ وما أنا مما يُحْدِثُ الدَّهْرُ جازِعُ

فيا ابْنِ نصيرِ الدِّيْنِ دعوةَ هاتفٍ ∴ دعا بك للجُلَّى فهل أنت سامِعُ

تَقلَّصَ عني الظلُّ والظل شامِلٌ ∴ واقصر عنّي الفضْلُ، والفضْلُ واسِعُ

أترضى وحاشا المجد أن يشبع الورى ∴ جميعًا، ويُمْسي ضيفُكم وهو جائِعُ

---

(١) السابق نفسه ٣/ ٩٤.

(٢) غاية الأماني في أخبار القصر اليماني ١/ ٢٧٣، ونهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري ٣٣/ ١٠٩.

(٣) عصر الدول الإمارات: إيران الجزيرة العراق للدكتور شوقي ضيف ص ١٤٨.

(٤) الخريدة: قسم شعراء الشام ٣/ ٨٥.

لكنَّ جيَّاشًا أعرض عنه، ويبدو أن شاعرنا قد عاش بعد ذلك طريدًا شريدًا مما أدى إلى أن ساءت أحواله النفسية والمعيشية، ولقد صور لنا مـاآل إليـه حالـه في قصيدة من قصائده التي عاتب فيها جيَّاشا على إعراضه عنه إذ يقول في تَذَلُّلٍ وخُنُوع[1]:

يـــا أيُّهـــا الملـــك الـــذي ∴ كـــلُّ الملـــوكِ لـــه رعيَّـــة

إنْ كنْـــتُ مـــن خُـــدَّامِكم ∴ فعـــلامَ لا أُعْطَـــي جَرِيَّـــة

أو كنـــت مـــن ضـــيفانكم ∴ فالضـــيف أولى بالعطيـــة

أو كاتبًـــا فلســـائر الـــ ∴ كُتَّـــابِ أرزاقٌ ســـنيَّة

والله مـــا أبقـــى الخمـــو ∴ ل علـــى وليِّـــك مـــن بَقِيَّـــة

ووحـــقُّ رأسِـــكَ إنَّ حـــا ∴ لـــي لـــو علمـــتَ بهـــا رزيَّـــة

وإذا هممـــتُ بِكَشْـــفِ بـــا ∴ طِنِهـــا أبـــتْ نفـــسٌ أبيَّـــة

لا تنظـــرن إلى التَجـــمُّـــ ∴ ـــلِ إنَّ عادتـــه رديَّـــة

فـــفِ لـــي بوعـــدك إنـــني ∴ وعـــلاك مـــن أوفـــى البريَّـــة

لِلَّـــهِ أو لمـــدائحي ∴ أو خِـــدْمتي أو للحميَّـــة

والذي يظهر أن هذه الصرخات قد ذهبت هي الأخرى أدراج الريـاح لأن جيَّاشا لم يلتفت إليه، ولم يثق به، ولعل هذا ما حدا بالشاعر إلى أن يقرع أبـواب سبأ مرة أخرى متوسلاً ومستعطفاً، وطالبًا السماح والعفو كما يدل علـى ذلـك قوله[2]:

فَجُدْ وَعُدْ، واعفُ واسْمَحْ لي وهبْ وأَعِد ∴ واصفح وأذنِ، وأجْمِلْ وارضَ وابتَسِمِ

فَلَسْـــتُ أوَّلَ عِبْـــدٍ عَـــقَّ سَـــيِّدهُ ∴ وَلَسْـــتَ أوَّلَ مَـــولىً جـــادَ بـــالكَرَم

ولعل تاريخ هذا النص يعود إلى أوائل العقد الأخير مـن القـرن الخـامس



---

(١) الخريدة، قسم شعراء الشام ٣/ ٩٦.

(٢) السابق نفسه ٣/ ٩١.

الهجري، والجدير بالذكر أن الشاعر لم يدم به الحال على هذا السوء بعد ذلك إذ لم يلبث أن قضى سبأ بن أحمد نحبه عام ٤٩٢هـ، ومات جياش بن نجاح بعده بستة أعوام، ويبدو أن السيدة الحرة زوجة سبأ ابن أحمد كانت تقدر للشاعر سابق خدمته للبيت الصليحي، وكانت ترى بفراستها أو بدهائها أن العفو عنه أفضل من اجتنابه وإطراحه فعفت عنه، وَقَرَّبَتْهُ حتى صار كاتبها إلى أئمتها بالديار المصرية، وإلى غير أئمتها من حكام الأقطار النازحة.

ولابن القم شعر في عتاب بعض أصدقائه وإخوانه، ومن ذلك قوله في عتاب شخص يدعى عبد الواحد بن بشارة(1):

ولئن ذكرتُ هوى الظعائن جملةً ∴ فالقصدُ صاحبةُ البعير الواحدِ

فكما يُعَدُّ الأكرمون جماعةً ∴ والواحدُ المرجوُّ عبدُ الواحدِ

نُبِّئْتُ أنك قَدْ أتَتْكَ قوارصٌ ∴ عنّي ثنتْكَ على الضميرِ الواجدِ

عَمِلَتْ رقى الواشين فيك وإنها ∴ عندي لتضربُ في حديدٍ باردِ

وهذا النص يُظْهِرُ براعةَ الشاعر وتلطفه في معاتبة إخوانه وأصدقائه إذ لم يواجه صاحبه بمضمون المعاتبة مواجهة مباشرة من أول النص، وإنما أخذ يستميله بالحديث عن النسيب تارة، وبمديحه تارة أخرى ثم واجهه بالمعاتبة بعد ذلك.

وبتأمل ما سبق من نصوص يتضح لنا أن ما ورد بالخريدة من شعر ابن القم في العتاب قد صور ملامح شخصيته لأنه أفصح عنها حال قوتها، وإحساسها بتضخم ذاتها، وامتلاكها للأسباب التي تبوؤها مقاعد السؤدد، كما أفصح عنها في حال ضعفها، واستخزائها، وشعورها بالحاجة إلى من ينتشلها من الهوة التي تردَّت فيها.

ففي الحالة الأولى – حالة القوة – نجد شعره يمتزج فيه الفخر الذاتي

---

(١) السابق نفسه ٣/ ٨٢.

بالعتاب كما في قوله من عتاب سبأ:

وما أنا إلا السَّهْمُ لو كان رائشٌ ∴ وما أنا إلا النَّصْلُ لو كان قائِمُ

ولا عار إن جار الزمانُ وإنْ سَطَا ∴ إذا لم تَخُنِّي هِمَّتي والعزائِمُ

كما قد يلجأ إلى تهديد المعائَبْ وتوعُّدِه كما في قوله من القصيدة نفسها مخاطباً سبأ بن أحمد:

فلا تحتقر جفنًا يبيت مُسَهَّدًا ∴ ليُدْرِك ما يهوى وجفْنُكَ نائِمُ

وفي الحالة الثانية – حالة ضعفه واستخزائه – نجده يعمد إلى المبالغة في تصوير إخناء الزمان عليه، بل قد يعمد أحياناً إلى الاستجداء الرخيص كما في قوله من عتاب جيَّاش بن نجاح:

إنْ كُنْتُ مِنْ خدَّامِكُمْ ∴ فعلام لا أُعْطَى جَرِيَّة

وقد يرق ابن القم في عتابه كما في النص الذي أورده له ياقوت في معجم الأدباء وهو[1]:

أأحْبَابَنا مَنْ بالقطيعة أغراكم ∴ وعن مستهام في المودَّةِ ألهاكم

صددتم وأنتم تعلمون بأننا ∴ لغير التجني والصدودِ وددناكم

كشفتُ لكم سري على ثقةٍ بكم ∴ فَسِرْتُ بهذا السِّرِّ من بعض أسراكمُ

جعلناكُمُ للنائبات ذخيرةً ∴ فحين طلبناكم لها ما وجدناكم

قطعْتُمْ وصلناكم نسيتُمْ ذكرناكم ∴ عققْتُم بررناكم أضعْتُمْ حفظناكم

وفي النفس سِرٌّ لا تبوح بِذِكْرِهِ ∴ ولو تَلَفَتْ وَجْدًا إلى يوم لُقْياكم

فإنْ تجمع الأيَّامُ بيني وبينكم ∴ غفرتُ خطاياكم لحرمة رؤياكم

ففي البيت الأول يتوجه الشاعر بالخطاب إلى أحبابه الذين يعاتبهم منادياً إياهم بحرف النداء "الهمزة" قائلاً لهم "أأحبابنا"، واستخدم الشاعر حرف النداء

(١) معجم الأدباء ١٠/ ١٣٠ – ١٣١.

"الهمزة" ها هنا دون غيره من سائر حروف النداء ليشير به إلى أنه لا يوجد بينه وبين هؤلاء المعاتبين أي فاصل أو حاجز من أي نوعن فهم قريبون منه، ولصيقون به، ثم يتوجه إليهم بالسؤال من بالقطيعة أغراكم وعن مستهام في المحبة ألهاكم؟ إنه لا يسألهم عن سبب القطيعة والهجر لإيمانه بأنه لم يأت ما يوجب القطيعة والهجر، وإنما يسألهم عمن أغراهم بالقطيعة وألهاهم عن المحب، ولاحظ دلالة التعبير بالفعلين الماضيين "أغرى"، و"ألهى" إن الإغراء عملٌ فيه تزيين وتحلية، وفيه في الوقت نفسه خداع وتضليل قال ابن منظور: "الإغراء: الإيساد"[1]، وقال في مادة أسد "وآسد بين القوم: أفسد"[2]، والإلهاء أن تشغل خاطرك أو خاطر غيرك، وتصرفه عما هو آخذ في التفكير فيه، فكأنَّ الشاعر يريد أن يقول لهم: إن هجركم إياي، وقطعكم وصلي ليس قراراً ذاتيا قد اتخذتموه بإرادتكم، وإنما هو من إملاء العذال أو اللائمين، أو من إملاء الحاسدين والحاقدين الذين لا يحبون أن يروا ما بيننا عامرا، ومن هنا فإن الشاعر يعاتبهم في هذا البيت خطئهم الأول في حقه وهو التفاتهم لأقوال العذال واللائمين أو الوشاة والحاقدين.

ويقابلنا في صدر البيت الثاني المركب الفعلي "صددتم" وهو يتكون من الفعل (صدّ)، والضمير الدال على جماعة المخاطبين "أنتم" الذي هو فاعله، وقد أتبع الشاعر هذا المركب الفعلي بجملة حالية هي قوله "وأنتم تعلمون بأننا لغير التجني والصدود وددناكم".

وواضحٌ أنَّ الشاعر في هذا البيت يعاتب أحبابه على خطئهم الثاني في حقه، ذلك الخطأ الذي يتمثل فيما قاموا به من قطيعته وهجره، ولكن لماذا وقع اختيار الشاعر على هذا الفعل بالذات (صدَّ) للتعبير عن قطعهم له، وهجرهم وصله؟

---

(١) اللسان ٥/ ٣٢٥٠.

(٢) اللسان ١/ ٧٧.

والجواب لأن الفعل (صدّ) له استعمالان في اللغة، فهو يستعمل بمعنى أعرض، أو هجر، أو صدف، وهو يستعمل أيضاً بمعنى ضجَّ، أو عجَّ[1].

وكأن الشاعر باستخدامه هذا الفعل قد أراد أن يقول لمن يعاتبهم: إن هجركم لي لم يكن هجراً جميلاً، وإنما كان هجراً مصحوباً بالتجني عليَّ، والتشهير بي.

وتقف الجملة الحالية التي أتت بعد هذا المركب الفعلي شاهداً ودليلاً على استهداف الشاعر للدلالة المزدوجة للفعل (صدّ)، وتلفتنا هذه الجملة ببنائها النحوي إذ كان الأصل المعياري للكلام أن يقول: وأنتم تعلمون بأننا وددناكم لغير التجني والصدود، لكنه عدل عن هذا الأصل إلى تقديم الجار والمجرور لغير التجني والصدود والفصل بين اسم إن والجملة الواقعة خبراً لها، ومما لا شك فيه أنه لم تكن للشاعر مندوحة عن هذا العدول حتى تستقيم به بنية البيت الإيقاعية من ناحية وحتى يبوح بما يعتمل في صدره من آلام وأحزان من ناحية أخرى.

وعلى هذا النحو تمضي بقية أبيات النص دالة على رهافة حس الشاعر، وعلى تميُّز معجمه اللغوي، وعلى مقدرته على التصرف في بناء الجملة، وعلى لوعه بالتصوير بالتضاد كما تدل مقدرته على إيجاع خصومه، والانتصار لنفسه، والثأر لها ممن لم يعرف لها حقها.

جـ- الغزل:

لابن القم شعر في الغزل والنسيب ومن ذلك قوله من مطلع قصيدة مدحية[2]:

اللَّيلُ يعلمُ أنّي لستُ أرقُدُهُ ∴ فلا يغرّكَ من قلبي تجلدُهُ

فإنَّ دمعي كصوب المزن أيسَرُهُ ∴ وإنَّ وَجْدي كَحَرِّ النار أبردُهُ

---

(١) اللسان ٤/ ٢٤٠٩، ٢٤١٠.

(٢) خريدة القصر، قسم شعراء الشام ٣/ ٧٩، وقلادة النحر لبامخرمة ٢/ ٢١٠٣.

لي في هـوادجكم قلبٌ أضِنُّ بـه ∴ فَسَـلِّمُوهُ وإلا قُمْـتُ أنْشُـدُهُ

وبـان للنـاسِ مـا كنّـا نكتُمُـهُ ∴ من الهوى وبدا مـا كُنْتُ أجْحَـدُهُ

ففي هذا المفتتح الغزلي تظهر روح ابن القم المحبة من خلال هذه المكاشفة، وهذا البوح الذي تصفح عنه الأبيات، فلقد أخبر عن نفسه في البيت الأول بأنه يبيت الليل مُسَهَّدًا قلقًا يفكر فيمن أحب، ويعاني من تباريح الهوى والوجد، وأن ما يبدو عليه من مظاهر التجلد ليس إلا شكلاً من أشكال التجمل التي يحرص عليها، ولا ينبغي أن يُسْتدل به على قسوة قلبه أو تَحَجُّر عواطفه.

ويواصل الشاعر في البيت الثاني اعترافاته فيقول: إن أقلَّ ما تذرف عيناي من الدموع ليشبه صوب المزن في تدفقه وانهماره، وإن أضعف ما يعتمل في صدري من حَرِّ الجوى لهو أشد تلهبا من النار الحامية.

وينتقل الشاعر في البيت الثالث من الحديث عن نفسه إلى مخاطبة قوم محبوبته قائلاً لهم: "لي في هوادجكم قلبٌ أضِن به.."، وهذا الخطاب يشي بأن الشاعر قد اهتاج شوقه واضطرب في إثر تأهب المحبوبة وقومها للرحيل، كما يشي بعدم مقدرته على تحمُّل آلام الفراق، ومن هنا كان الأمر "فَسَلِّمُوه"، وكان التهديد الذي تلاه "وإلا قمت أنشده" في الشطرة الثانية من البيت.

والبيت الرابع من هذه الأبيات موصول الأسباب بالشطرة الثانية من البيت الذي قبله لأن الشاعر يتحدث فيه عن الآثار السلبية التي يمكن أن تترتب على قيامه بنشدان محبوبته بنفسه إن هو أُلجِئَ إلى هذا التصرف، ولم يقْدُرْ أهلها عاطفة الحبِّ قدرَها.

ولقد حازت هذه الأبيات إعجاب القدماء يقول عمارة اليمني في تعليقه عليها: "حدثني الفقيه أبو السعود بن علي الحنفي قال: حدثني ابن أبي الصباح أنه لما دخل العراق وحضر مجلس الوزير يومئذ وعنده جماعة يتذاكرون الشعر فقال لي: هل تحفظ شيئاً لأحد من أهل اليمن؟ فأنشدته قول ابن القم من قصيدته: الليل يعلم أني لست أرقده، وكان الوزير متكئًا فاستوى جالسًا واستعادها

مراراً، ثم بعثني في الموسم إلى مكة فاشتريت له الديوان، فلما جئته بـه كـان مـن أقوى الذرائع إلى صحبته، والانقطاع إلى جملته."[1].

وفي نص آخر يقول ابن القم[2]:

يـا صـاحِبَيَّ قِفـا المطِـيَّ قلـيلاً ∴ يشـفى العليـلُ مـن الـديار غلـيلا
هــذي طلــولهم أطلْــن صــبابتي ∴ وتــركنْ قلـبي مـن عـزاي طلـولا
ولـئن خلـت مـنهم مـرابعهم فقـد ∴ غــادرنْ قلــبي بــالغرام أهــيلا
لــو أن عيســهم غــداةَ رحيلــهم ∴ حُمِّلْـنَ وجـدي مـا أطقْـنَ رحـيلا
مـن كـل ريـمٍ لا عـديلٌ لحسـنها ∴ رحلـتْ فكـان لهـا الفـؤادُ عـديلا
كالبـدر وجهًـا والغـزالِ سـوالفًا ∴ والرَّمْـلِ رِدْفًـا، والقنـاةِ ذبـولا
غـادرني جـاري المـدامعِ حـائرًا ∴ وتــركنني حَــيٌّ الغــرامِ قتــيلا

والشاعر في هذه الأبيات ينتهج سبيل القدماء من حيث:

أولاً: الوقوف على الأطلال، وبكاء الديار لأنه في الأبيـات الأربعـة الأولى من النص توجه بالخطاب إلى صاحبيه آمراً إياهما بإيقاف الرحلة، والتريث قليلا قبل مغادرة المكان حتى يتمكن من شفاء عِلَّتِهِ بالائتناس ببقايا المنازل الدارسـة التي كانت مسرحاً للعب فتيات الحي ولهوهن.

ثانياً: استيحاء الصور القديمة لأن تشبيهه وجه المحبوبـة بـالقمر، وسـوالفها بالغزال، وردفها بالكثيب، وقدها بالقناة الذابلة كل هذا من التشبيهات الشـائعة في نصوص الشعر الجاهلي.

د- الاجتماعيات والحكمة:

أورد ياقوت الحموي لابن القم نصين في الاجتماعيات والحكمـة يتحـدث الشاعر في أولهما عن تنشئة الأبناء، وفيه يقول[3]:

---

(١) الخريدة، قسم شعراء الشام ٣/ ٧٩ هامش رقم ٥،

(٢) السابق نفسه ٣/ ٨٩.

(٣) معجم الأدباء ١٠/ ١٣١ - ١٣٢.

خيرُ ما ورَّث الرجالُ بنيهم ∴ أدبٌ صالحٌ وحسنُ ثناءِ

ذاك خيرٌ من الدنانيرِ والأو ∴ راق في يوم شِدَّةٍ ورخاءِ

تلك تفنى والدينُ والأدبُ الصـ ∴ ـالحُ لا يَفْنيانِ حتى اللقاءِ

ويتحدث في النص الآخر عن قيمة الهدية، وأثرها في جلب المودة فيقول[1]:

هدايا الناس بَعْضِهِمُ لبعض ∴ تولِّدُ في قلوبهم المودَّه

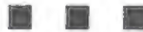
وتزرعُ في النُّفوسِ هوى وحبًّا ∴ لِصَرْفِ الدهر والحَدَثَانِ عُدَّه

وتصطادُ القلوبَ بلا شراكٍ ∴ وتُسْعِدُ حَظٌّ صَاحِبِها وَجَدَّه

وابن القم في هاتين المقطوعتين يصوغ في ثوب شعري فلسفي خلاصة تجربته الحياتية مع أبنائه، ومع غيرهم ممن كانت له بهم صلات أو علاقات، واللافت للنظر أن الشاعر في المقطوعة الأولى قد صبَّ تجربته في أسلوب خبري يتكئ في بنيته اللغوية كلِّها على المركبات الاسمية وذلك حتى يرسخ مضمونها، ويقرر حقائقها في العقول والنفوس.

وفي المقطوعة الثانية ابتدأ الكلام بالمركب الإضافي "هدايا الناس" ثم جعل الخبر جملة فعلية هي قوله: "تولِّد في قلوبهم المودَّة"، وهي جملة لافتة بفعلها "تولِّد" الذي يدل بزمنه أولاً، وبتضعيفه ثانيا على تجدُّدِ الحدثِ واستمراره، وبناء الكلام على هذا النحو فيه إلى - جوار الإخبار عن قيمة الهدية وأثرها في القلوب والنفوس – فيه حضٌّ على التهادي، ونصح به، ومما يدل على هذا المعنى ويؤكده أنه عطف على جملة الخبر ثلاث جمل فعلية هي قوله: "وتزرعُ في النفوس هوىً وحبًّا" وقوله: "وتصطادُ القلوب بلا شِرَاكٍ"، وقوله: "وتُسْعِدُ حظٌّ صاحبها وجَدَّه".

والمقطوعة تفصح قبل كل هذا وبعده عن أخلاق ابن القم، وما كان يتحلى به من الفطنة والدهاء والكياسة أو الذكاء الاجتماعي.





---

(١) السابق نفسه ١٠/ ١٤٧.

نثره ومنهجه في كتابة الرسائل الديوانية

أشار غير واحدٍ من المؤرخين القدماء إلى أن ابن القم كان كاتباً مترسلا يكتب عن السيدة الحرة أروى بنت أحمد الصليحية إلى أئمتها بالديار المصرية، وإلى غير أئمتها من حكام الأقطار النازحة[1].

ولا يجب أن يفهم من هذه الإشارة أن ابن القم قد التحق بديوان الإنشاء في عهد السيدة أروى، لأنه على ما يبدو قد التحق به في عهد المكرم أحمد بن علي الصليحي في أواخر عام ٤٦١هـ كما سبق أن بيَّنا[2].

وظل ابن القم يخدم الصليحيين بهذا الديوان مدة تصل إلى عقدين من الزمان إلى أن طُرِدَ منه في عام ٤٨١هـ بسبب خيانة والده لوزير الصليحيين الأسعد بن شهاب في عهد الأمير سبأ بن أحمد الصليحي.

ومكث متنبي اليمن بعيداً عن ديوان الإنشاء مدة طويلة تربو على عشر سنين إلى أن أعادته – كما أشرنا من قبل – السيدة الحرة أروى إليه مرة ثانية بعد وفاة زوجها سبأ عام ٤٩٢هـ، أو بعد وفاة زعيم دولة بني نجاح السنية في زبيد جيَّاش بن نجاح عام ٤٩٨هـ[3].

ولقد نشر الدكتور حسين بن فضل الله الهمداني اليعبرى الحرازي رسالة من رسائل ابن القم كان قد كتبها عام ٤٦١هـ على لسان الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي إلى الخليفة الفاطمي بالقاهرة المستنصر بالله معد بن أبي تميم، وذلك بعد أن تولى المكرم أحمد أمر اليمن بعد وفاة والده علي بن محمد الصليحي.

---

(١) من هؤلاء العماد الكاتب يراجع الخريدة قسم شعراء الشام ٣/ ٧٨، وعمارة اليمني في مختصر المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، يراجع: الخريدة فسم شعراء الشام ٣/ ٧٩ هامش رقم ٥

(٢) يراجع صفحة ١٤ من هذا البحث.

(٣) يراجع صفحة ٣٣ من هذا البحث.

وفي هذه الرسالة يطلع المكرم أحمد الخليفة الفاطمي على الجهود التي بذلها هو ووالده من أجل نشر الدعوة الفاطمية باليمن والحجاز.

وتستمد هذه الرسالة أهميتها من ثلاثة أمور هي:

أولاً: أنها تعد أنموذجاً لأدب الرسائل الديوانية في العصر الفاطمي بصفة عامة، كما تُعَدُّ أنموذجاً لفن الكتابة الديوانية عند ابن القم بصفة خاصة.

ثانياً: أنها تفصح عما لم يستطع شعر ابن القم الذي أورده العماد الكاتب في خريدته الإفصاح عنه، إذ تشير إلى الجانب الخاص بتشيُّع ابن القم، أو على الأقل إلى تأثر ابن القم بالفكر الشيعي في رسائله.

ثالثاً: أنها تدل على مدى ما وصل إليه نفوذ الدولة الفاطمية بالقاهرة في ذلك الزمان، وتميط اللثام عن العلاقات السياسية التي كانت بين هذه الدولة وجنوبيّ شبه الجزيرة العربية ودوله وحكامه في منتصف القرن الخامس الهجري.

أولاً: خطبة الرسالة:

ويبدأ ابن القم رسالته بما يمكن أن نطلق عليه اسم المقدمة، أو خطبة الرسالة، وقد لاحظت أنها تتضمن ثلاثة موضوعات هي:

أ- الصلاة على الخليفة الفاطمي، وعلى آبائه وأبنائه.

ب- الحمدلة، والثناء على الله تعالى.

ج- الصلاة على النبي ﷺ، وعلى الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -، والسيدة فاطمة الزهراء وبنيها.

وفي الموضوع الأول من موضوعات خطبة الرسالة يقول بسم الله الرحمن الرحيم. سلام الله وصلواته، وبركاته الطيبات وتحياته على ينبوع العلم والحكمة، وولي الإحسان والنعمة، ووارث الأنبياء والأئمة، المفترض طاعتهم على الأمة، باب العصمة المقصود، ومنهل الرحمة المورود، ومطلب الفوز الموجود، ومعدن الفضل والجود، وحبل النجاة الممدود، وسدر الهداية المخضود،

وبيته الذي أوحى فيه إلى والد ومولود "وأن طهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود"، سماء الله الواكفة على العالمين، ويده الباسطة لبريته أجمعين، وسلسبيله المعين، لسان الصدق في الآخرين، ووارث أصحاب اليمين، الثمرة المجتباه من شجرة النبيين، المكنى عنه بجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، مولانا وسيدنا معد بن أبي تميم المستنصر بالله أمير المؤمنين، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين، معالم الإيمان، ومعادن البيان، ومناهي البرهان، وأسباب الرضوان، وأمناء الرحمن، وقرناء القرآن، وسادة الأنفس والجان، وعلى أبنائه الأكرمين الذين جعلهم لآفاق النبوة ضوءاً مضيئا ووهب لهم لسان صدق عليًا، وعناهم بجنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتيا، وما أورق غصن، ووكف مزن..."[1].

والكاتب في هذا الموضوع الأول من موضوعات خطبة الرسالة قد أثنى على الخليفة الفاطمي ووصفه بسبع عشرة صفة تظهر مدى ما كان يعتقده الصليحيون في الخلفاء الفاطميين، وحسبنا في هذا المقام أن نُفسّر بعضاً منها فوَصْفُهُ الخليفة الفاطمي بـ"ينبوع العلم والحكمة" يشير إلى معتقد الفاطميين في أن الإمام هو أصل العلم والمعرفة، ووصفه بأنه "وارث الأنبياء والأئمة" يشير إلى ما يعتقدونه من أن الخلافة تجب بعد النبي ﷺ في الإمام علي بن أبي طالب والأئمة في ذريته بالوراثة، ووصفه بأنه "ولي الإحسان والنعمة" فيه إشارة إلى ما بيده من مظاهر السلطة الزمنية والنفوذ الدينوي.

ثم أثنى ابن القم على آباء الخليفة المستنصر، ووصفهم بسبع صفات، وهو عددٌ ضئيل جدًّا إذا قيس بعدد الصفات التي خلعها الكاتب على الخليفة نفسه، ثم أثنى على أبنائه، ووصفهم بثلاث صفات، ليصبح مجموع ما خلعه الكاتب على آباء الخليفة وأبنائه عشر صفات وهو عدد لا يزال – أيضاً – أقل من عدد الصفات التي خلعها على الخليفة نفسه.

---

(١) الصليحيون، ملحق رقم ٦، ص ٣٠٨.

ويظهر في هذا الجزء الأول من أجزاء خطبة الرسالة التأويل الشيعي المفرط لبعض آيات الكتاب العزيز من مثل قوله تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ٦١ ﴾[2].

حيث يرون أن الجنة في الآية الأولى كناية عن الخليفة، وأن جنات عدن الواردة بالآية الثانية المقصود بها أبناء الأئمة والخلفاء الفاطميين، وغني عن البيان أن تشير إلى أن هذا تأويل فاسد لما ورد بالآيتين الكريمتين.

ويأتي بعد ذلك الموضوع الثاني من موضوعات خطبة الرسالة، وهو الخاص بالحمدلة والثناء على الله تعالى وفيه يقول ابن القم "والحمد لله القدير القديم، الرحمن الرحيم، المبدئ البديع، القوي الرفيع، الفرد الأحد، العزيز الصمد، الذي جلّ أن تدركه الظنون، وعلا أن تبلغ أدنى صفاته الواصفون، الذي شهد بالإلهية لنفسه وملائكته المقربون، واحتجّ باستحالة ما ادعاه المشركون، بقوله الذي عجز عن الإتيان بمثله القائلون "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون"، قاصم كل جبار عنيد، وقامع كل شيطان مريد، وبالغ كلّ ذي أيد شديد، الذي لم يبتل أولياءه بما ابتلاهم تعنتا ولا هضما، بل اختبارًا وإن كان قد أحاط بكل شيء علما، ووسع أعداء دينه أناةً وحِلْما ليحتقبوا بالاستدراج حوباً وإثما، كما قال جلّ جلاله، تباركت أسماؤه "ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيرٌ لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما..."[3].

وتبدو في هذا الجزء ثقافة الكاتب الدينية ولا سيما في علمي الكلام والتفسير، وتشيع فيه أربع صور من صور الأخذ من القرآن الكريم وهي:

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٣٣.

(٢) سورة مريم آية رقم (٦١).

(٣) الصليحيون، ملحق رقم ٦، ص ٣٠٨.

أ- الاقتباس ونعني به ذكر الآية من آيات الكتاب العزيز، أو ذكر جزء من آية من الآيات في ثنايا الكلام دون التنبيه عليها[1].

ب- الاستشهاد الذي هو ذكر آية من كتاب الله تعالى، أو جزء من آية في ثنايا الكلام مع التنبيه عليها[2].

ج- التلميح والإشارة.

د- استخدام ألفاظ المعجم القرآني الخاصة وتعبيراته.

ويتجلى الاقتباس في قول الكاتب "الذي لم يبتل أولياءه بما ابتلاهم به تعنتاً ولا هضما، بل اختباراً وإن كان قد أحاط بكل شيء علماً" لأنه في هذا الكلام قد أخذ جزءاً من آية شريفة من آيات سورة الطلاق، وأدرجه في مطاوي كلامه دون أن ينبه عليه وهو ختام الآية الكريمة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[3].

واستشهد ابن القم في معرض الحديث عن وحدانية الخالق عز وجل والدليل عليها بالآية الثانية والعشرين من سورة الأنبياء، واستشهد في ثنايا الحديث عن استدراك الله تعالى لأعداء دينه بجزء من آية كريمة من آيات سورة آل عمران، وهو القسم الأول من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾[4].

وأشار الكاتب في قوله: "الذي شهد بالإلهية لنفسه وملائكته المقربون" إلى الآية الثامنة عشرة من آيات سورة آل عمران، وهي قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾[5].

---

(١) حسن التوسل إلى صناعة الترسل لشهاب الدين ، الثناء محمود سليمان بن فهد الحلبي، ص ١٢٩.

(٢) السابق نفسه ص ١٣٠.

(٣) سورة الطلاق آية رقم ١٢.

(٤) سورة آل عمران آية رقم ١٧٨.

(٥) سورة آل عمران آية رقم ١٨.

ويذكر ابن القيم من مظاهر قدرة الله تعالى وقوته أنه "قاصم كل جبار عنيد، وقامع كل شيطان مريد"، ويلفت نظرنا وصف الجبار بالعناد، ووصف الشيطان بالمرود، في هاتين الجملتين لأنهما وصفان قرآنيان تكرر أولهما مرتين أولاهما في سورة هود في قوله عز شأنه: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩)﴾[١]. والأخرى في سورة إبراهيم في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥)﴾[٢]، وتكرر ثانيهما ثلاث مرات في آي الكتاب العزيز وذلك في قوله تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا (١١٧)﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ (٣)﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ (٧)﴾[٥].

ثم يأتي بعد ذلك القسم الثالث الأخير من أجزاء الخطبة وهو الخاص بالصلاة على النبي ﷺ وعلى الإمام علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه –، والسيدة فاطمة الزهراء – رضي الله عنها – ، وفيه يقول الكاتب: "وصلى الله على محمد نبيه سيد المرسلين، وخاتم النبيين، ورسوله إلى الجن والإنس أجمعين، وشفيعه الشفيع يوم الدين، هادي المهتدين، ومردي المعتدين، الذي قرن بفرض طاعته فرض حبه، وختم لأوليائه الطيبين به، وغفر له ما تقدم وما تأخر من ذنبه، وأنزل الفرقان على قلبه، وأسكن من اتبعه جنات عدن، وجعله بيتاً أخص بأمنه، وداعياً إلى الله بإذنه، وأوجب ولاءه على إنسه وجنه، وعلى أخيه ووصيه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وسيد الوصيين، وأسد الدين ووزيره وخليفته، ووصيه ومحيي شريعته، وأمينه ومأمونه، وصهره وهارونه، ابن عمه الذي قام في

---

(١) سورة هود آية رقم ٥٩.

(٢) سورة إبراهيم آية رقم ١٥.

(٣) سورة النساء آية رقم ١١٧.

(٤) سورة الحج آية رقم ٣.

(٥) سورة الصافات آية رقم ٧.

أمره، ووزيره الذي سدَّ به عن أزره، قمر الشريعة وشمسها، وعماد الإمامة وأساسها، وذروة الملة ورأسها، وساقي شيعته من حوض عترته بكأسها ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾، وعلى عرسه فاطمة الزهراء المتصلة بحر الوصائل، معقد رحمة الله الذي يعقد به كل عاقل، وسدة كل حاف وفاعل، والحبة التي أنبتت سبع سنابل، وعلى ابنيها الحسن والحسين فلذتي كبد المصطفى، وثمرة شجرة طوبى، اللذين أوجب الله لهما المودة في القربى، وعلى الأئمة من ذرية الحسين المنقولين إلى محل الرضوان، والنازلين في غرف الجنان، سدنة التنزيل، وخزنة التأويل، وسلام عليهم أجمعين إلى يوم الدين"[1].

ونلاحظ:

١- أنّ ابن القم ساوى بين أجزاء هذا القسم الأخير من أقسام الخطبة في الطول، فقد وصف النبي ﷺ بثلاث عشرة صفة، ووصف الإمام علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – باثنتي عشرة صفة، ووصف السيدة فاطمة الزهراء وبنيها بإحدى عشرة صفة.

٢- وأن الأوصاف التي وصف بها ابن القم النبي ﷺ عقب الصلاة عليه في هذا النص معظمها مما وصف به ﷺ في القرآن الكريم.

٣- وأن الأوصاف التي وصف بها الإمام علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – والسيدة فاطمة الزهراء وبنيها معظمها مستمدٌ من عقائد الشيعة.

ولقد جرى الكاتب في هذه الفقرة على عادته من الاقتباس من القرآن الكريم كما يدل على ذلك قوله في وصف الإمام علي – كرم الله وجهه – "وذروة المِلَّةِ ورأسها، ساقي شيعته من حوض عترته بكأسها يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها" حيث اختتم الكاتب وصفه بمفتتح الآية الحادية عشرة بعد المائة من سورة النحل التي يقول الله – تعالى – فيها: ﴿۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ

(١) الصليحيون، ملحق ٦ ص ٣٠٨، ٣٠٩.

﴿عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾[1].

ويظهر في هذا الجزء من الخطبة – أيضاً – الإيغال الشيعي المفرط في تأويل بعض آي الذكر الحكيم، فلقد وصف الكاتب السيدة فاطمة الزهراء بأنها "الحبة التي أنبتت سبع سنابل"، وهو وصف مستمد من قول الله عز وجل: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾[2]، وغني عن البيان أن تأويل الحبة التي ضُرِب بها المثل في هذه الآية بالسيدة فاطمة تأويلٌ ظاهر البطلان لمخالفته للدلالة اللغوية للفظة مخالفة لا يساعد معنى الآية على تقوية جانبها.

ثانياً: متن الرسالة:

ويأتي بعد ذلك الحديث عن متن الرسالة الذي تحدث فيه ابن القم إلى الخليفة المستنصر بلسان المكرم أحمد عن الموضوعات الآتية:

أ- التوطئة ببيان سبب المكاتبة.

ب- جهود الداعي علي بن محمد الصليحي في نشر الدعوة ومحاربة أعدائها باليمن.

ج- جهود المكرم أحمد نفسه في نشر الدعوة ومحاربة أعدائها باليمن بعد أبيه.

د- الرسالة التي تلقاها المكرم أحمد من الخليفة الفاطمي وأثرها في نفسه.

هـ- الاعتذار عن الإطالة في سرد ما قام به هو ووالده من جهاد في سبيل الدعوة.

و- طلب التشريف بالأجوبة والألقاب.

---

(١) سورة النحل آية رقم ١١١.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٦١.

أ- التوطئة ببيان سبب المكاتبة:

ويبدأ متن الرسالة بقول الكاتب: "المملوك يناجي حضرة الإمامة، ويناهي سدة الخلافة جعل الله عزهما باقياً على الأيام، ومجدهما غير منقطع الدوام عالماً أنه يلبس بذلك شرف الدارين ويستولي به على الحسنيين، شائماً من مولاة برقا مضيًا، ومستظلا من سحاب الإكرام ودقاً وريًا، ومتبوئاً من رتب الاختصاص مكاناً عليًا، ومتعرضا لمنزلة من أدناه وقرَّبه نجيًا، أنه قد كان قدم خدمة يطالع بها بأنباء جزيرته وينهي أخبار دعوته، وما جرى عليه أمرها من الفتن، ودارت فيها من دوائر المحن التي ملأت قلوب أعداء الدين سرورا، وازداد بها الكافر طغيانا وكفورا، وأظهر كلُّ منافق ما كان من غدر كامناً مستوراً ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾[1]"[2].

وتُظهِر لغةُ هذه التوطئة عدة أمور منها:

أولاً: إدراك المرسل / المكرم أحمد أنه دون مرتبة المرسل إليه / الخليفة المستنصر، وقد ظهر هذا حين عبَّر المرسل/ المكرم أحمد عن نفسه بلفظ المملوك.

ثانياً: إدراك المرسل / المكرم أحمد أن المرسل إليه / الخليفة المستنصر يملك زمام السلطتين الدينية والزمنية، وقد ترتب على هذا الإدراك أن خاطبه بما يلائم هاتين المرتبتين "يناجي حضرة الإمامة، ويناهي سُدَّة الخلافة".

ثالثاً: ولاء المرسل / المكرم أحمد الكامل للمرسل إليه / الخليفة المستنصر بوصفه إماماً دينيًّا وزعيماً سياسيًّا، وقد دلّ على ذلك الدعاء "جعل الله عزهما باقيا على الأيام، ومجدهما غير منقطع الدوام"..

ودلَّ عليه - أيضاً - ما جاء عقب الدعاء من وصف المرسل/ المكرم أحمد

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ١٢.

(٢) الصليحيون ملحق رقم ٦ ص ٣٠٩.

حاله لخطة مناجاته الإمامة ومناهاته الخلافة حيث يكون "عالماً أنه يلبس بذلك شرف الدارين، ويستولي به على الحسنيين، شائماً من مولاه برقاً مضيًا، ومستظلا من سحاب الإكرام ودقا وريًا...".

وتفصح هذه التوطئة عن غرض المكاتبة الرئيس، وهو إخبار الخليفة بالجهود التي بذلها الصليحيون من أجل نشر الدعوة الفاطمية في اليمن بصفة خاصة، وفي شبه الجزيرة العربية بصفة عامة، واطلاعه على ما لاقوه في سبيل ذلك من عناء، وفي ذلك يقول الكاتب "إنه قد كان قدم خدمة يطالع بها بأنباء جزيرته، وينهي أخبار دعوته، وما جرى عليه أمرها من الفتن، ودارت فيها من دوائر المحن التي ملأت قلوب أعداء الدين سرورا، وازداد بها الكافر طغيانا وكفورا، وأظهر كل منافق ما كان من غدر كامناً مستوراً".

ب- جهود الداعي علي بن محمد الصليحي في نشر الدعوة الفاطمية في اليمن ومحاربة أعدائها فيه:

وبعد التوطئة ببيان سبب المكاتبة أخذ ابن القم يقص على الخليفة الفاطمي أحداث الفصل الأخير من سيرة حياة الداعي الصليحي علي بن محمد وكفاحه من أجل نشر الدعوة الفاطمية في اليمن، ومحاربة أعدائها فيه، وهو الفصل الذي جرت أحداثه في أواخر عام ٤٥٩هـ وابتدأ بخروج الداعي الصليحي إلى مكة المكرمة قاصداً حج بيت الله الحرام وانتهى بمقتله، يقول الكاتب "وكان نهوضه في يوم الاثنين السادس من ذي القعدة"[1] في موكب ملكي يضم "خمسين ملكا من ملوك اليمن المغلوبين على أمرهم، ومائة وسبعين من آل الصليحي، وغيرهم ممن أرادوا الحج معه..."[2]، ويشير الكاتب إلى أنه سار بهم إلى أن "نزل بقرية

---

(١) الصليحيون، ملحق رقم ٦ ص٣٠٩، وعيون الأخبار وفنون الآثار للداعي عماد الدين إدريس ١١٣/٧.

(٢) الصليحيون ص٩٩.

العَمَد في منقطع السهل من تهامة على جناح الدعة، وكنف السلامة يوم الخميس تاسعه"[1].

ويسترسل الكاتب في الحكي فيقول "وكان قد ورد إليه قبل نهوضه من دار دعوته، ومستقر حوزته أن جماعة من العبيد كانوا بحضرة زبيد قد جانبوا الائتلاف، وتعرضوا للخلاف فأقاموا فيه عبداً من بقايا دعاة الدولة الطاغوتية، وأساءوا إلى السيوف المستنصرية، ...، ودسوا دسائس الفساد إلى من كان معهم بصنعاء من القواد، والحرابة والأجناد، وحملوهم على كاهل العناد فصادفوا منهم لين مقاد، وسرعة انقياد، فلما نمت إليه نوامي أخبارهم، واتصلت به قبائح آثارهم أحسن الظن فيمن كان منهم بحضرته، وبعث منهم عبداً كان مختصاً بخدمته للقبض على ابن نجاح وجماعته، وكل من دخل ببيعته، فدخل العبد مدخلهم، وصافقهم في الضلال وعاملهم، فظهر لمن كان بزبيد من المؤمنين، وأوثقوه تقييداً، وحملوه إلى العمد مصفوداً، فأمر الأجل – قدس الله روحه – بقتله، وأحله محل مثله ممن ساءت محافظته على عهده"[2].

والكاتب في هذه الفقرة يتحدث بلسان المكرم أحمد عن خيانة فرح البيشي[3] للداعي الصليحي حيث أخذ هذا الخائن يحرض سعيد بن نجاح وأتباعه من الأجياش أصحاب الدولة السنية في زبيد على قتال الصليحيين، ولما واجهه الداعي الصليحي بجريمته أنكرها، وأقسم له أن يأتيه برأس سعيد فتركه علي بن محمد الصليحي، وركن إلى تصديقه، وذهب فرح إلى زبيد يؤلب سعيد بن نجاح وجماعته على الداعي الصليحي مرة ثانية فقبض عليه أبو السعود بن

---

(١) الصليحيون، ملحق رقم ٦ ص٣٠٩.

(٢) السابق نفسه، ملحق رقم ٦ ص٣٠٩، ص٣١٠.

(٣) يذكر الداعي عماد الدين إدريس أن (فرح) كان عبداً من عبيد نجاح مؤسس الدولة النجاحية باليمن، وكان الداعي الصليحي قد ولاه حصن مسار تألفاً له يراجع عيون الأخبار ٧/ ١١٣.

أسعد بن شهاب[1]، وساقه مصفداً في أغلاله إلى الداعي الصليحي الذي أمر بقتله.

ويواصل ابن القم على لسان المكرم أحمد قَصَّةُ فيقول "وسار من العمد يوم الخميس، ونزل سردد يوم الجمعة العاشر من ذي القعدة ما معهم غيرهم إلا جماعة من بني عمه وذويه، ومعه الأمير الموفق رحمه الله برحمته ومواليه، لثقته بهم أنهم أحب الناس لدولته، وأرغبهم في بقاء دعوته، وأشدهم ذبًّا عن مهجته لما قدم لهم من نعمته، وطوقهم من إحسانه ومبرته، وقد كان قدم أمامه قبل نهضته طوائف شيعته، وأنصار ملته، وأنجاد أسرته، وبني عمه وعشيرته، الباذلين أنفسهم في محبته، والمتمسكين بعهد أئمته من رجال الدعوة ذوي البأس والشدة، والقتال والنجدة"[2].

وهنا يشير الكاتب إلى أن الداعي الصليحي بعد قتله فرحاً البيشي أخذ يستأنف رحلته إلى الأرض الحجازية آمنا مطمئنا "لأن البلاد قد تمهد مهادها، واستقام عمادها، وأمنت السبل، وخضع كل عزيز وذل"[3]، والدليل على سيره في دعة واطمئنان أنه أمر أتباعه ومريديه أن يسبقوه إلى الأراضي الحجازية، وسار هو في عدد قليلٍ من الرجال حيث لم يسر معه إلا "ابنه الأمير الموفق، والحرة ابنة شهاب والدة أولاده، وأخواه عبد الله وإبراهيم ابنا محمد بن علي الصليحي، وجماعة من بني عمه"[4].

ويمضي الكاتب ليشير إلى أن الداعي الصليحي ما كان يدري أن قتله فرحا قد أثار كوامن البغضاء في نفوس النجاحيين، ودفعهم إلى الثورة في زبيد، وإلى

---

(١) أبو السعود بن أسعد بن شهاب هو أحد أبناء أسعد بن شهاب شقيق السيدة الحرة أسماء بنت شهاب امرأة الداعي الصليحي.

(٢) الصليحيون، ملحق رقم ٦ ص٣١٠.

(٣) عيون الأخبار وفنون الآثار ٧/ ١١٤.

(٤) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

الوثوب على الوالي / القاتل أبي السعود بن أسعد بن شهاب وقتله هو وأخوه أحمد ومن كان معهما من الحراس، وانتهاب ما كان معهم من مال وعتاد للتقوى به علي الانتقام من الداعي الصليحي نفسه[١].

ويذكر الكاتب - أيضا - أن الداعي الصليحي ما كان يدري أن طائفة كبيرة ممن ساروا معه في رحلته إلى الحج من الرعية كانوا مثل فرح، يظهرون له الود، ويضمرون له الحقد والكيد، ويتحينون الفرصة للانقضاض عليه، فلقد كان يتصور أن إحسانه إليهم وتركه إياهم يمارسون شعائرهم الدينية في حرية تامة كفيلان باسترقاق قلوبهم، وسل سخائم صدورهم[٢].

والكاتب يريد بهذا الذي ذكر أن يشير إلى أن سعيد بن نجاح قد باغت الداعي الصليحي وأخذه على غرة مستغلا انشغال هذا الخصم القوي بما هو مقدم عليه من الذهاب لتأدية مناسك الحج، ومهتبلا فرصة انفرداه وانقطاعه عن رجاله من ذوي النجدة والبأس الذين سبقوه إلى مكة.

ويروي الكاتب أن الداعي الصليحي وجد نفسه مضطرا إلى قبول أحد أمرين: إما أن "يصول بيد عز قويه"[٣]، وإما أن "يتحيز فينسب إلى الخوف من المنية"[٤].

ويبيِّن أنه لم يطل بالداعي الصليحي أمد التفكير حيث قرر مواجهة عدوه، وظل يدافع عن نفسه وزوجه هو ومن معه حتى لقي حتفه.

ويبالغ الكاتب في وصف ما أحدثه قتل الداعي الصليحي من أثر على الحياة السياسية والدعوة الفاطمية في اليمن فيقول: "نمت نوامي الأنباء إلى كافة الأحياء، فثاروا مجلبين، وقاموا متألبين، وهاجوا متحزبين، ونفروا مستكلبين،

---

(١) الصليحيون ملحق رقم ٦ ص٣١٠.

(٢) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) السابق نفسه ص٣١١.

(٤) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

يشنون نيران الفساد، ويثيرون كوامن الأحقاد، ويخيفون أمن البلاد، ويمدون أعناق العناد، يبرقون على أولياء الله ويرعدون، ويقومون بالمنابذة ويقعدون، ويبدون ما كانوا يخفون ويكتمون، وخرج أمر الدعوة كله من اليمن حزونه وسهوله، وأجلب الشيطان برجاله وخيوله، وظنوا أن الأمر غائب لا أوبة لقفوله.»[١].

جـ- جهود المكرم نفسه في نشر الدعوة ومحاربة أعدائها في اليمن:

هذا هو الموضوع الثاني من موضوعات متن الرسالة وفيه أخذ ابن القم يقص على الخليفة الفاطمي بلسان المكرم أحمد الحوادث الآتية:

١- أخبار الفتنة التي وقعت بمقتل الداعي الصليحي حيث تحالف العربان مع النجاحيين ضد الصليحيين، وأحكم النجاحيون قبضتهم على ما تحت أيديهم وأيدي العربان من ضواحي اليمن، وحصونها، وقلاعها من مثل كحلان، وهران، وعَنْس، وزبيد، ويحصب، ورعين، وحصن مسار الذي انبثقت منه شرارة الدعوة إلى المذهب الفاطمي في اليمن، وحصني التعكر ومسور[٢].

٢- كيف استطاع أن يستعيد هذه الحصون والبلدان الواحدة تلو الأخرى بفضل قواده المخلصين من مثل عامر بن سليمان الزواحي، ومدافع بن حسن الجنبي، وموسى بن أبي حذيفة الجنبي، ويوسف بن زائد السنحاني، وإسماعيل بن أبي يعفر، وسبأ بن أحمد الصليحي[٣].

٣- ما جرى من ادعاء الشريف حمزة بن أبي هاشم الحسني الإمامة، وجمعه أتباعه، وسيره بهم نحو صنعاء للاستيلاء عليها من الصليحيين، وكيف استطاع أن يرد عن الدولة الصليحية، والسيوف المستنصرية عادية هذا العدو الجديد[٤].

(١) الصليحيون، ملحق رقم ٦ صفحة ٣١١.

(٢) السابق، ملحق رقم ٦ صفحة ٣١١.

(٣) السابق، ملحق رقم ٦ صفحة ٣١٢.

(٤) السابق، ملحق رقم ٦ صفحة ٣١٢.

٤- ما كان من توجهه إلى زبيد صحبة قواده عمران بن الفضل اليامي، وحسين بن عمرو السنحاني، ومنصور بن محمد اليامي وتحريرها من قبضة النجاحيين، واستخلاص والدته السيدة أسماء بنت شهاب من أسرهم[(١)].

٥- ما جرى من ادعاء قاسم بن جعفر الرَّسيّ الإمامة، والتفاف طائفة من أتباعه حوله، وكيف استطاع أن يفض جمعهم، ويقي الدولة الصليحية والسيوف المستنصرية من شرورهم[(٢)].

٦- نبأ وفاة قائده العسكري المخلص، وواليه السياسي المحنَّك إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي[(٣)] والي صنعاء.

٧- ما جرى من حروب ومعارك في جبل حملان، ووادي بينون، وجبل الشعر أدت إلى تفرغه للأخذ بثأره من قاتلي والده من الأحباش[(٤)].

٨- أخبار الحرب الضروس التي جرت بينه وبين سعيد بن نجاح الحبشي وانتهت بمقتل سعيد، والاستيلاء الكامل على زبيد، وتولية سبأ بن أحمد الصليحي عليها.

ويشيع في هذه الأجزاء الثلاثة من أجزاء متن الرسالة ما شاع في أجزاء متن خطبتها من الاقتباس من القرآن الكريم، فعند حديث ابن القم عما حدث لحمزة بن هاشم من الهزيمة قال "وأحلّ الله به من الهزيمة ما أحلّ بسواه من المعتدين الذين ادّعوا مراتب الخلفاء المهتدين، وهموا بما لم ينالوا من ميراث النبيين."[(٥)].

والكاتب في هذه الفقرة قد اقتبس جملة "وهموا بما لم ينالوا" من قول الله

---

(١) السابق، ملحق رقم ٦ صفحة ٣١٣.

(٢) السابق، ملحق رقم ٦ صفحة ٣١٤ - ٣١٥.

(٣) السابق، ملحق رقم ٦ صفحة ٣١٥.

(٤) السابق، ملحق رقم ٦ صفحة ٣١٥ - ٣١٦.

(٥) الصليحيون، ملحق رقم ٦ صفحة رقم ٣١٢.



تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ﴾[1].

وقد اختلف المفسرون فيمن نزلت فيه هذه الآية الكريمة فقال قومٌ إنها نزلت في واحدٍ من المنافقين اسمه الجلاس بن سويد بن الصامت كان قد قال إن كان ما جاء به محمد حقا لنحن أشر من الحمر، أو أشر من حمرنا، وشهد عليه ابن امرأته مصعب بما قال، وعاتبه فيه، وقال له: "والله يا عدو الله لأخبرنَّ رسول الله ﷺ بما قلت فإني إن لا أفعل أخاف أن تصيبني قارعة أو أؤاخذ بخطيئتك"[2]، وذهب مصعب إلى رسول الله ﷺ وأخبره بما كان من الجلاس فدعا الرسول ﷺ الجلاس وقال له أقلت الذي قال مصعب فحلف ما قال فأنزل الله تعالى هذه الآية[3].

وقال آخرون: إنها نزلت في رأس المنافقين عبد الله بن أبيّ بن سلول، ويقولون إن سبب نزولها فيه أنه كان خارج المدينة في حكومة بين رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة، والآخر من غفار "وكانت جهينة حلفاء الأنصار، وظهر الغفاري على الجهني فقال عبد الله بن أبي بن سلول للأوس: أنصروا أخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك، وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذلّ، فسعى بها رجل من المسلمين إلى نبي الله ﷺ فأرسل إليه فسأله، فجعل يحلف بالله ما قاله"[4] فأنزل الله تبارك

---

(١) سورة التوبة آية رقم ٧٤.

(٢) تفسير الطبري المسمى: جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى ٣١٠هـ ٦/ ٤٧٢.

(٣) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) السابق نفسه ٦/ ٤٧٣، وينظر في هذين الرأيين أيضا مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي ٨/ ١٠٠ – ١٠١.

وتعالى الآية الكريمة.

وكما اختلف المفسرون فيمن نزلت فيه هـذه الآيـة اختلفـوا – أيضـا – في تأويل قوله تعالى "وهموا بما لم ينالوا: فالقائلون بأنها نزلت في الجلاس ابن سويد بن الصامت يرون أن الآية تشير إلى ما كان من هـم الجـلاس بقتـل صـاحبه"[1]، والقائلون بأنها نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول يرون أن الآيـة تشـير إلى مـا كان من عزمه على إخراج الرسول ﷺ من المدينة"[2].

وفي تصوري أن ابن القم حين اقتبس من الآية الكريمة ما اقتبس كان يريـد أن يخلع على حمزة بن هاشـم الحسـني وأتباعـه مـا خلعتـه الآيـة الكريـمـة علـى الجلاس بن سويد بن الصامت، وعبد الله بن أبـي بـن سـلول وأضـرابهما مـن صفات الكفر والنفاق، والمكر والبطر.

وعند حديث ابن القم عن تحصن سعيد بن نجاح لملاقاة المكرم أحمـد يقـول "وتجلبب من الجبروت بثوب لا يروم له ما عاش خلعـا، فقطـع بالـدابرة لنفسـه على الله قطعا، ولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشـد منـه قوة وأكبر جمعا"[3].

والكاتب في هذه الفقرة اقتبس قوله "ولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله مـن القرون من هو أشد منه قوة وأكبر جمعاً" مـن قـول الله تعـالى في وصـف قـارون ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨﴾[4].

وفي تصـوري أن ابـن القـم قـد أراد بهـذا الاقتبـاس أن يقـول للخليفـة المستنصر إن سعيد بن نجاح كان قد تناهى كقارون بـن يصـهر في البغـي، فكمـا

(١) السابق نفسه ٦/ ٤٧٣ – ٤٧٤.

(٢) السابق نفسه ٦/ ٤٧٤.

(٣) الصليحيون، ملحق رقم ٦ صفحة ٣١٣.

(٤) سورة القصص آية رقم ٧٨.

بغى قارون على بني إسرائيل بظلمه إياهم، واستخفافه بهم، واستطالته عليهم، وطلبه أن يكونوا عبيداً له[1] بغى سعيد بن نجاح على أهل اليمن بما جمع من أتباعه وبما خرج بهم على الدولة الصليحية والسيوف المستنصرية.

وعند حديث الكاتب عن سير المكرم أحمد لملاقاة قاسم بن جعفر الرسي يقول "وسار لقاسم بن جعفر الرسي ومن معه وهم بسيره لا يشعرون، فدنا منهم والمؤمنون، فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون"[2].

والكاتب في هذه الفقرة يقتبس آية كاملة من آي القرآن هي الآية الثانية عشرة من سورة الأنبياء وهي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ۝١٢﴾[3].

والآية القرآنية الكريمة قد وردت في سياق حديث القرآن العظيم عما حدث لأهل قرية حضور اليمنية من الإهلاك بسبب تكذيبهم النبي الذي أرسله الله إليهم، وقتلهم له[4]، وهي تشير إلى أن هؤلاء المكذبين "ركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب"[5].

وأظن أن ابن القم قد أراد بهذا الاقتباس القرآني أن يعمق إحساس الخليفة المستنصر بكثرة الجنود التي زحف بها المكرم أحمد إلى صنعاء في طلب الشريف قاسم بن جعفر الرسي، وأن يقول له إن ما استولى على الرسيين من الفزع، وما اضطروا إليه من الهرب كان بسبب ما عاينوا من شدة بأس السيوف المستنصرية وجنود الدولة الصليحية، وإن ما حدث من هؤلاء الباغين من الفرار ليشبه إلى

---

(١) ينظر في تأويل بغي قارون مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي ١٢/ ٣١٥.

(٢) الصليحيون، ملحق رقم ٦ صفحة رقم ٣١٥.

(٣) سورة الأنبياء آية رقم ١٢.

(٤) ينظر في تحديد القرية الظالمة التي فرَّت تبغي الهروب من بأس الله تعالى تفسير مفاتيح الغيب ١١/ ٨٨.

(٥) مفاتيح الغيب ١١/ ٨٨.

حد بعيد ما حدث من آبائهم الأولين الذين ولّوا مسرعين لما أحسوا بما نزل بساحتهم من مقدمة العذاب.

ويظهر في هذه الأجزاء الثلاثة من أجزاء متن الرسالة ما لم يظهر في أجزاء خطبتها من اعتماد ابن القم على الشعر العربي القديم، والأمثال العربية القديمة في بناء جمله وعباراته، وفي تشكيل صوره وتشبيهاته.

فعند حديث ابن القم عن التقاء جيشي الصليحيين والنجاحيين، وابتداء القتال في واقعة زبيد يقول "فلما تراءى الجمعان، وتدانى الفريقان، ماجت الصفوف، وسالت الزحوف، ...، ودعونا نزال"[1]، وهو هنا متأثر بقول الشاعر القديم[2]:

ولقد شَهِدْتُ الخيلَ يومَ طرادِها بِسَلِيم أوظفةِ القوائِم هيكلِ

فَدَعَوْا نَزَالِ فَكُنْتُ أوَّلَ نازلٍ وعلام أركبُهُ إذا لم أنزلِ

وعند حديثه عن محاولات ابن نجاح اليائسة لشحذ همم أتباعه حتى يتمكن من معاودة الهجوم على زبيد بعد أن أخرجه المكرم أحمد منها يقول "وقد جعل العبد - لا رحمه الله - يدنو بمن بقي معه من المدينة ويبعد، ويبرق بغير قوة بأس ويرعد، ويقوم في غير عائدة ولا تأثير ويقعد، يوهم أنه انهزم عن المملوك قصدا، وحاد عن لقائه عمدا، وأنه قد أحل المملوك بحيلته سجنا، ويظهر أنه قد امتلأ بذلك فرحا، وقد ملأه الله حزنا، ويركب في الإجلاب سهلا وَحَزْنا، والمملوك يسمع جعجعة ولا يرى طحنا"[3].

والكاتب في نهاية هذه الفقرة قد أدرج المثل العربي القديم "أسمع جعجعة

---

(١) الصليحيون، ملحق رقم ٦ صفحة رقم ٣١٤.

(٢) البيتان بغير نسبة في لسان العرب ٦/ ٤٤٠٠، والأوظفة جمع وظيف، والوظيف لكل ذي أربع: ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق، ووظيفا يدي الفرس: ماتحت ركبته إلى جنبيه، ووظيفا رجليه: ما بين كعبيه إلى جنبيه. اللسان: مادة وظف، ٦/ ٤٨٦٩.

(٣) الصليحيون، ملحق رقم ٦، صفحة رقم ٣١٤.

ولا أرى طحناً" في مطاوي كلامه دون أن ينبه عليه، والهدف الكامن – في تصوري – وراء استدعاء هذا المثل واستخدامه في هذا السياق هو رغبة الكاتب في الاستفادة من مضربه في الزراية على ابن نجاح وهجوه، ورسم صورة كاريكاتيرية له حيث يضرب هذا المثل "للرجل الذي يكثر الكلام ولا يعمل، وللذي يعد ولا يفعل."[1].

د- الرسالة التي تلقاها المكرم أحمد من الخليفة الفاطمي، وأثرها في نفسه:

هذا هو الموضوع الرابع من موضوعات متن الرسالة، وفيه يتحدث ابن القم بلسان المكرم أحمد عن الرسالة التي حملها إلى الدولة الصليحية من الخليفة المستنصر الأمير نادر المستنصري يقول الكاتب: "وقد كان ورد من الحضرة القدسية – أدام الله جلالها، وحرس سعدها، وكبت ضدها – التشريف بالملطفات عن يد الأمير جسام الدولة نادر المستنصري بما شد أزره وقواه، ...، وقرأه على والدته الساعية في مصالح الدين فتسلّت بما فيه من المواعظ النافعة السابغة، والحكم الجليّة البالغة، ...، والمملوك يشكر موصلها وحسن سعيه في أداء أمانته، وحرصه في الخلوص برسالته ومخاطرته بمهجته، يشقُّ الأعداء شقّا، ويخوض المتالف غربا وشرقا، والله – عز وجل – يضفي عليه بما أطلعه من نيته سترا، ويجعل له من كلّ عسرٍ يسرا، حتى ورد بما زاد القلوب مسرة، وأهدى إلى العيون قرة"[2].

هـ- الاعتذار عن الإطالة في سرد ما قام به هو ووالده من جهود:

وهو الموضوع الخامس من موضوعات متن الرسالة وفيه يتحدث ابن القم بلسان المكرم أحمد فيقول: "فلولا علم المملوك تطلّع الأولياء إلى ما يرد من جزيرته من الأنباء لاختصر ما شرحه، وقبض ما بسطه، ولرَأْيِ الحضرة –

---

(١) لسان العرب ١/ ٦٣٦.

(٢) الصليحيون، ملحق رقم ٦، صفحة رقم ٣١٧.

حرس الله عزها على الأيام، وجعل علوها مقرونا بالدوام - في تمهيد عذر المملوك بتطويله وإطنابه، وبسطه إسهابه مزيد العلو، والمملوك متطلع إلى ما يرد عليه من تشريفه بإعادة أجوبته، وإكمال سعادته بها ومسرَّته، ليغتبط بمزية جلالها، ويُجَرِّرَ أذيال جمالها."[1].

و- طلب التشريف بالأجوبة والألقاب:

وهذا هو الموضوع الأخير من موضوعات متن الرسالة، وفيه يتحدث ابن القم بلسان المكرم إلى الخليفة المستنصر طالباً منه مطلبين أحدهما يخصه هو شخصيا، والآخر بتعلق بتعزيز دور الدعاة اليمنيين بالهند، وفي الطلب الخاص به يقول "والمملوك يضرع إلى وليّ أمره في أن يزاد مرتبةً على ما تقدم من حاله، وتميَّز على أمثاله وأشكاله"[2] وفي الطلب الخاص بالدعاة اليمنيين يقول "والمملوك لرغبته في انتشار أمر مولاه، وعلو دعوته يسأل تشريفهم بكتاب يتضمن ما طالع به.."[3].

وألاحظ أن ابن القم في هذه الرسالة قد التزم التزاماً حرفياً بما أوجبه أئمة الكتابة الإنشائية في العصر الفاطمي من ضرورة مخالفة الكتَّاب بين الأدعية في فصول الكتاب[4] حيث نثر الأدعية نثراً في تضاعيف رسالته، ولم يركب بعضها على بعض، كما تجنب ما لا محصول له منها كقولهم "جعلني الله فداءك"، و"قدمني إلى السوء مثلك فصان المكرم أحمد عن التصنع والملق من ناحية، وعلا كعبه في صناعة الكتابة من ناحية أخرى.

---

(١) الصليحيون، ملحق رقم ٦ صفحة ٣١٧.

(٢) السابق نفسه صفحة ٣١٨.

(٣) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) ينظر في آداب الأدعية الواردة بالرسائل المكتوبة إلى الخلفاء الفاطميين مواد البيان لعلي ابن خلف صفحة ٥٠٠ وما بعدها.

وقد اختتمت هذه الرسالة بالسلام على الخليفة الفاطمي، وذكر تاريخ تحريرها كما يتضح من قول الكاتب: "والسلام على مولانا وسيدنا أحمد أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين، عليه وعلى آبائه الطيبين الطاهرين، وأبنائه الأكرمين المنتجين، أفضل الصلاة والتسليم. صدر غرة ذي الحجة سنة إحدى وستين وأربعمائة والحمد لله وحده، وصلواته على سيدنا محمد النبي، وعلى مولانا علي بن أبي طالب وَلِيِّه ووصيّ نبيه، وعلى الأئمة من ذريته الطاهرين، وسلام عليهم أجمعين. حسبنا الله ونعم الوكيل."[(١)].





(١) الصليحيون، ملحق رقم ٦، صفحة رقم ٣١٨.

الفصل الثاني

المرسل إليه/ سبأ بن أحمد الصليحي ونشاطه السياسي والديني

المبحث الأول

حياته وصفاته وأخلاقه

هو أبو حمير سبأ بن أحمد بن المظفر بن علي الصليحي[١]، لا ندري متى ولد إذ لم يُشِرْ مَنْ ترجموا له إلى السنة التي ولد فيها. ولكنَّا نعلم على وجه اليقين السنة التي مات فيها وهي عام ٤٩٢هـ، وهو رجل ينتمي إلى أرومة عربية خالصة لأنه من آل الصليحي الذين ينتسبون إلى قبيلة الأصلوح من بلاد حراز[٢]، أو إلى بني عبيد بن أوام ببيت الأخروج[٣]، ولا نعرف شيئاً كثيراً عن حياته في مرحلة الصبا لكنَّ حديث المؤرخين عن صفاته وأخلاقه وما تقلَّد من مناصب دينية ودنيوية قد يسهم بعض الإسهام في التعرف على ألوان العلوم والفنون التي نُشِّيءَ عليها.

يقول عمارة في وصفه: "كان جواداً كريماً، شاعراً أديبا فاضلا، عالماً بالمذهب

---

(١) ترجم له كلٌّ من:

أ- عمارة اليمني المتوفى ٥٦٩هـ في كتابه تاريخ اليمن، ينظر نشرة الدكتور حسن سليمان محمود ويراجع الصفحات ٦٦، ٦٧، ٦٨ وما بعدها.

ب- بهاء الدين الجندي المتوفى ٧٦٢هـ في كتابه: "السلوك في طبقات العلماء والملوك" ينظر نشرة القاضي محمد الأكوع ٢/ ٤٩١ وما بعدها.

ج- عماد الدين إدريس المتوفى ٨٧٢هـ في كتابه: "عيون الأخبار وفنون الآثار" ينظر ٧/ ١٧٤ وما بعدها.

د- ابن الدَّبيع المتوفى ٩٤٤هـ في كتابه "بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد" ينظر صفحة ٤٩ وما بعدها.

هـ- بامخرمة المتوفى ٩٤٧هـ في كتابه "قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر" ينظر ٢/ ٢٠٨٨.

(٢) حراز: إقليم في بلاد همدان، ينظر تاريخ اليمن صفحة ١٥٤.

(٣) بيت الأخروج: بلدة بين مخلاف حضور، وهوزان كما قال صاحب الإكليل يراجع الصليحيون هامش رقم ٣، صفحة رقم.

الطاهر، خبيراً بأقوال الحكماء، منشأ بالشعر، يثيب بالمدح، ويثيب على المدح."[1].

في تصوري أن عمارة اليمني في هذا النص قد حدد بدقة ألوان العلوم والفنون التي تلقاها سبأ في مرحلة الصبا، وكانت له فيها مشاركات فيما بعد وهي: الأدب، والدين، والفلسفة.

وفي اللون الأول منها يذكر عمارة أن سبأ كان "مُنَشَّأ بالشعر"، ومعنى هذا أنه قد تربى عليه منذ الصغر، وقد أكسبته التربية بالشعر فصاحة ولسنا، فكان شاعراً مجيداً، وكان يقرب الشعراء، ويدني مجالسهم من مجلسه، ويبالغ في إكرامهم، والتودد إليهم، فقد روى المؤرخون وكتاب التراجم أن الحسين بن القم "أراد القيام بين يديه بشعر فمنعه، ورمى له بمخدة، وأقعده إكراماً له، ورفعه عن الحاضرين وكانوا أعيانا، ثم لم يقتنع سبأ بذلك حتى قال له أنت يا أبا عبد الله عندنا كما قال أبو الطيب المتنبي:

وفؤادي من الملوك وإن كا   ن لساني يرى من الشعراء"[2].

ولقد هزت هذه الأريحية السبئية الشاعر فأنشأ يقول[3]:

ولما مَدَحْتُ الهِزَبْرِيَّ ابْنَ أحمدٍ   أجاز وكافاني على المدْحِ بالمدْحِ

فعوَّض عن شعري بشعرٍ وزاد في   عطاهُ فهذا رأسُ مالي وذاربحي

شَقَقْتُ إليه الناسَ حتى لقِيْتُهُ   فكُنْتُ كَمَنْ شَقَّ الظلام إلى الصُّبْحِ

فقُبِّحَ دَهْرٌ ليس فيه ابنُ أحمدٍ   وَنُزِّهَ دَهْرٌ كان فيه من القُبْحِ

واللون الثاني من ألوان الثقافة التي نُشِّئَ عليها سبأ هو اللون الديني نفهم

(١) تاريخ اليمن صفحة ٦٤، ٦٥.

(٢) ينظر تاريخ اليمن صفحة ٦٥، والسلوك للجندي ٢/ ٤٩١، وعيون الأخبار للداعي إدريس ٧/ ١٧٥، وقلادة النحر لبامخرمة ٢/ ٢١٠٤.

(٣) ينظر الخريدة، قسم شعراء الشام ٣/ ٧٦ – ٧٧، وتاريخ اليمن لعمارة ص٦٤، ص٦٥، والسلوك للجندي ١/ ٢٥٩، ٢/ ٤٩١، وقلادة النحر لبامخرمة ٢/ ٢١٠٤ – ٢١٠٥.

ذلك من قول عمارة في وصفه "وكان عالما بالمذهب الطاهر"، وعمارة يقصد بالمذهب الطاهر مذهب الأئمة الفاطميين بالقاهرة، ولعل سبأ قد تلقى علوم هذا المذهب على يد الداعي علي بن محمد الصليحي الذي كان على حدٍّ قول عمارة "عالماً فقيهاً في مذهب الدولة، مستبصراً في علم التأويل."[1].

وتشير الروايات التاريخية إلى أن المكرم أحمد بن علي الصليحي قد عهد في أخريات حياته بأمور السلطة الدينية إلى سبأ[2]، كما تشير إلى أن سبأ قد خاض حرباً ضروساً من أجل اعتلاء هذه المرتبة حيث ذكر المؤرخون أن السيدة أروى الصليحية لم تعترف بحق سبأ بن أحمد في قيادة الدعوة[3]، وأرسلت إلى الخليفة الفاطمي بالقاهرة وطلبت منه إقامة ولدها المكرم الأصغر عبد المستنصر علي بن المكرم أحمد مقام أبيه في الدعوة والملك، وأجابها الخليفة الفاطمي إلى ما طلبت وأرسل إلى ولدها سجلاً يعزيه فيه بوفاة والده وينبئه بما بوّأه من السلطتين الدينية والزمنية ويقول له: "وأمير المؤمنين يعزيك عن هلكه، ويدعو لك بالبقاء بعده، ...، وبحكم محافظة أمير المؤمنين على الحرمات.. وأنه لا يضيع أجر من بدت منه الطاعات وسعى المساعي المصلحات فقد رأى أن يصطنعك ويلحقك برتبته، وينصبك منصبه، ويرقى بك درجته، ويجعل ابتداء أمرك كآخر أمره."[4].

ويرى الدكتور حسن سليمان محمود أن سبأ بن أحمد قد سكت هو وأتباعه عن المطالبة بحقه في وراثة السلطة الدينية "مصابرة وإذعانا لسياسة الأمر الواقع، وإرضاء لرغبة الإمام."[5]. وفي هذا ما يدل على دهاء سبأ وكياسته وبعد نظره،

---

(١) تاريخ اليمن ص٤٨.

(٢) ينظر في ذلك: تاريخ اليمن لعمارة صفحة ٦٤، والسلوك للجندي ٢/ ٤٩١، وبغية المستفيد لابن الدَّيبع ص٤٩.

(٣) تاريخ اليمن صفحة ٢٢٨ هامش رقم ١.

(٤) عيون الأخبار وفنون الآثار ٧/ ١٥٨.

(٥) تاريخ اليمن صفحة ٢٢٨، هامش رقم ١.

وعدم استجلابه لعداوات مَنْ بأيديهم مقاليد الأمور من أئمة دولته ودعوته.

ثم ما لبثت الأيـام أن أخرجـت مخبوءهـا فقضـى ولـدا المكـرم أحمـد عبـد المستنصر، ومحمد، وعاد الأمير سبأ يطالب بحقه – من جديد – في وراثة الدعوة، ولعله كان طامعاً في هذه المرة في وراثـة الملـك أيضـاً، وانـتهج في سـبيل تحقيـق أهدافه نهجاً جديداً تمثل في طلب الزواج من السيدة أروى الصليحية.





المبحث الثاني

زواجه بالسيدة أروى بنت أحمد الصليحية

يبدو أن سبأ بن أحمد قد رأى أن السبيل الأوحد للوصول إلى ما يهدف إليه من وراثة الإمامة الدينية والولاية السياسية يتمثل في محاولة احتواء السيدة الحرة واسترضائها ومن ثمّ تقدم لخطبتها، ويذكر المؤرخون أنها رفضت، ونستطيع أن نرجع رفضها إلى الأسباب الآتية:

أولاً: أنها تعلم علماً يقيناً أن سبأ بن أحمد لا يريد الزواج للزواج ذاته، وإنما يريده لكونه سلما يستطيع من خلاله تحقيق آماله وأحلامه في الوصول إلى سدة الحكم، وعرش الإمامة.

ثانياً: أنها لم تكن بحاجة إلى الزواج، وذلك لما وصلت إليه من مكانة دينية وسياسية حيث كان مكانها عند الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين – عليه السلام – المكين، ومحلُّها منه المحل المخصوص، بالتقريب والتمكين، وأصدر الإمام – عليه السلام – إليها أجل أبواب دعوته فأفادها من علم الإمام وحكمته مما ورثه عن آبائه الطاهرين، وتلقاه عنهم عن أبيهم سيد الوصيين، وجدهم خير الأنبياء، والمرسلين ما سما به مقامها على الأشكال، واستحقت به التقديم والتفضيل على الفضلاء من الرجال، ورفعت عن حدود الدعاة إلى مقامات الحجج، وأمر الدعاة بامتثال أوامرها والجري على سواء المنهج، وكان الدعاة عليها يعولون، ولها فيما أشكل عليهم أمره يسألون، وإليها في كل أحوالهم يرجعون، وبالوسيلة بها إلى أمير المؤمنين يتوسلون ويتشفعون"[1].

وهذه الصفات التي ذكرها عماد الدين إدريس تدل على أن رفضها الزواج من سبأ كان مبعثة الأنفة والاستعلاء، وأنها لا تراه كفئا لها.

---

(١) عيون الأخبار وفنون الآثار ٧/ ١٦١ – ١٦٢.

ثالثا: ما كان يتصف به سبأ بن أحمد من معايب خِلْقية حيث كان دميما قصيرا لا يكاد يظهر من السَّرْج[1].

ويذكر المؤرخون وكتاب التراجم أن سبأ بن أحمد قابل رفضها بالامتعاض والغضب، وسار بخيله ورجله لحربها، واحتشدت هي الأخرى له بجنود أعظم من جنوده[2]، وتقاتل الجيشان أياماً، ولما رأى أخوها لأمها سليمان بن عامر الزواحي إصرارها على رفض الزواج من سبأ، وإصرار سبأ على حربها وإخضاعها وأشار عليهما معاً أن يأخذا رأي الخليفة الفاطمي في هذا الأمر، واهتبل سبأ الفرصة وعاد من ذي جبلة إلى قصره المنيف بأشيح، وأرسل إلى الخليفة الفاطمي رسولين هما القاضي أبو عبد الله حسين بن إسماعيل الأصبهاني، وأبو عبد الله الطيب ليخاطباه في هذا الأمر، وذهب الرسولان، والتقيا بالخليفة الذي أكرمهما وأرسل معهما إلى اليمن رسولاً من قبله إلى السيدة الحرة يخبرها بموافقة الخليفة على هذا الزواج، ووصل الرسل الثلاثة إلى الحرة وهي بدار العزبذي جبلة فخاطبها مبعوث الخليفة بقوله: "أمير المؤمنين يقرأ السلام على الحرة الملكة السيدة الرضية الطاهرة الزكية، وحيدة الزمن، وسيدة ملوك اليمن، عمدة الإسلام خالصة الإمام، ذخيرة الدين، عصمة المؤمنين، كهف المستجيبين، ولية أمير المؤمنين، كافلة أوليائه الميامين، ويقول لها: "وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا".

وقد زوجك مولانا أمير المؤمنين من الداعي الأوحد المنصور المظفر عمدة الخلافة، أمير الأمراء أبي حمير سبأ بن أحمد بن المظفر بن علي الصليحي على ما حضر من المال وهو مائة ألف دينار عيناً، وخمسون ألفاً أصنافا من تحف

---

(١) ينظر تاريخ اليمن لعمارة ص٦٤، وبغية المستفيد لابن الدَّيبع ص٤٩.

(٢) تاريخ اليمن لعمارة ص٦٧.

ولطائف، وطيب وكسي"[1].

وهنا أسقط في يد السيدة الحرة وأذعنت لرأي الخليفة الفاطمي، وقالت لمبعوثه "أما كتاب مولانا – صلوات الله عليه – وأمره فأقول فيه "إني ألقي إليَّ كتاب كريم إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم"، ولا أقول في أمر مولانا "يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون."[2]، ثم التفتت إلى القاضي أبي عبد الله الأصبهاني معاتبة ومغاضبة حيث قالت له: "وأما أنت يا ابن الأصفهاني فوالله ما جئت إلى مولانا من سبأ بنبأ يقين، بل حرفتم الكلم عن مواضعه ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف:١٨]"[3].

ويبدو أن سبأ بن أحمد بعد اقترانه بالسيدة الحرة قد أدرك من ذات نفسه ونفسها البون الشاسع بينه وبينها، وأنه لم يكن كفئا لها وفي هذا يقول عمارة "ورأى سبأ بن أحمد من عُلُوِّ همتها، وشرف أفعالها ما حقّر نفسه معها، وإن أحداً من الناس لا يعدل بها أحداً، وكلُّ أحدٍ يقول: مولاتنا، مولاتنا."[4].

ويبدو – أيضاً – أن السيدة الحرة قد ظلت بعد عقد نكاحها مقيمة في قصرها المسمى بدار العز، وأن سبأ بن أحمد ظل هو الآخر مقيماً في قصره المسمى بأشيح أمداً طويلاً، ولما ضاق سبأ ذرعاً بابتعاده عنها، وخشي على مكانته وهيبته بين قومه أرسل إليها سراً "يسألها أن تأذن له بالدخول إليها إلى دار العز ليتوهم الناس أنه دخل بها"[5]، ويذكر المؤرخون أن السيدة أروى قد أجابت

---

(١) ينظر: تاريخ اليمن لعمارة صفحة ٦٨، وعيون الأخبار وفنون الآثار ٧/ ١٧٦.

(٢) ينظر: تاريخ اليمن لعمارة صفحة ٦٨، وعيون الأخبار وفنون الآثار ٧/ ١٧٦.

(٣) ينظر: تاريخ اليمن لعمارة صفحة ٦٨، وعيون الأخبار وفنون الآثار ٧/ ١٧٦.

(٤) تاريخ اليمن لعمارة صفحة ٦٩.

(٥) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

سبأ بن أحمد إلى ما طلب، ودخل الأمير دار العز بوصفه زوجاً للسيدة الحرة، ويختلف المؤرخون فيما بينهم اختلافا شديداً حول ما جرى بين الزوجين[1] فزعم فريق أن سبأ اجتمع بزوجه ليلة واحدة، وادعى الفريق الآخر أن السيدة الحرة أرسلت إلى زوجها جارية كانت شبيهة بها "ونمى ذلك إلى الداعي سبأ بن أحمد فباتت الجارية واقفة على رأسه وهو جالسٌ لا يرفع طرفه إليها حتى إذا طلع الفجر صلَّى، وأمر بضرب الطبول، وقال للجارية: أعلمي مولاتنا أنها نطفة شريفة لا توضع إلا في مستحقها ثم سار فلم يجتمعا بعدُ.."[2].

وبدهيٌّ أن أحدًا لا يستطيع أن يحكم لأيٍّ من الفريقين بصحة رؤيته لما جرى بين الزوجين في هذه الليلة، لكنَّ الذي في مُكْنَتِي هو أن أشير إلى ما سجلته صحائف التاريخ من عفة سبأ بن أحمد وطهارته، وبعده عن الدنايا وما يقرب إليها من مجالس الشراب واللهو يقول عمارة: "ويقال إن الداعي سبأ بن أحمد ما وطئ أمة قط، ولا شرب مسكراً، وكانت زوجته الجمانة بنت سويد بن يزيد الصليحي تقول أنا لا أغار على مولانا سبأ لأنه لا يطأ أمة قط."[3].

ويقول بهاء الدين الجندي "وكان من أكرم العرب وأعفهم وأشرفهم نفساً بحيث ثبت بالنقل الصحيح المتواتر أنه لم يشرب مسكراً، ولا وطئ أمة، ولا خيب قاصداً"[4].



(١) ينظر: تاريخ اليمن لعمارة صفحة ٦٩، وعيون الأخبار وفنون الآثار ٧/ ١٧٦.

(٢) تاريخ اليمن لعمارة صفحة ٦٩.

(٣) تاريخ اليمن لعمارة صفحة ٦٩.

(٤) السلوك في طبقات العلماء والملوك للجندي ٢/ ٤٩١.



خلافه مع عامر بن سليمان الزواحي

أشار الداعي عماد الدين إدريس إلى أن خلافاً نشب بين السلطان أبي حمير سبأ بن أحمد الصليحي، وعامر بن سليمان الزواحي أدى إلى تطاول كلٍّ واحدٍ منهما على صاحبه[1]، ولم يذكر عماد الدين إدريس سبب هذا الخلاف صراحة، وفي تصوري أن هذا الخلاف كان مبعثه نهوض السلطان سبأ هو وأتباعه للمطالبة بحقه في وراثة الدعوة غِبَّ وفاة المكرم أحمد، وهنا تجب الإشارة إلى أن عامر بن سليمان الزواحي هذا أميرٌ عربيٌ يمنيٌّ من قرية من قرى إقليم حراز[2]، وكان أبوه سليمان بن عبد الله الزواحي هو القائم على أعمال الدعوة للفاطميين باليمن قبل أن تنتقل بوفاته إلى تلميذه ووارث علمه وحكمته وخزانة كتبه الداعي علي بن محمد الصليحي، وعامرٌ هذا - أيضاً - هو زوج الرداح بنت الفارع بن موسى الصليحي[3] أم السيدة أروى، وولده سليمان بن عامر بن سليمان بن عبد الله الزواحي هو أخو السيدة أروى لأمها، وخال ولديها من المكرم أحمد المكرم الأصغر عبد المستنصر، ومحمد وهذا كله يدلُّك على ما كان يعتمل في صدر عامر حيث كان - في غالب الظن - يرى أن الزواحيين أولى بالإمامة والولاية من الصليحيين، وذلك لما لهم من السابقة والفضل في هذا المجال على أهل اليمن بصفة عامة وعلى الصليحيين أنفسهم بصفة خاصة، ولهذا ساءه أن يوصي المكرم أحمد بأمور الدعوة من بعده إلى ابن عمه سبأ، كما ساءه أن يثور سبأ مطالباً بحقه الذي له بحكم هذه الوصية وأدى ذلك إلى أن دبَّ النزاع بينهما.

---

(١) ينظر: عيون الأخبار وفنون الآثار ٧/ ١٦٦.

(٢) تاريخ اليمن لعمارة صفحة ٢١٦ حاشية رقم ٢٥، وهامش رقم ٤.

(٣) ينظر: الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص١٤٣.

ويبدو أن سبأ بن أحمد كان يدرك أن العصبية القبلية ستلعب دورها في حسم هذا النزاع لصالحه لذا أحجم عن مهاجمة عامر، ولجأ إلى الاستكانة والصبر بعد أمدٍ من نشوب النزاع بينهما.

ولقد أرسلت السيدة الحرة عدداً من الكتب إلى الخليفة المستنصر بالقاهرة تسأله فيها أن يخاطب الأميرين المتنازعين بما يهدئ من ثوريتهما، واستجاب الخليفة الفاطمي لطلب السيدة أروى، وبعث إليها برسالتين يدعو في أولاهما السلطانين المتنازعين وأتباعهما إلى نبذ الخصام والاعتصام بالائتلاف وفيها يقول: "وأمير المؤمنين يأمركم بأن تعتمدوا الائتلاف والتحذير من عواقب المقاطعة والاختلاف، ويستغني بحصافتكم عن أن يضرب لكم الأمثال في ذلك بمن سلف من الأمم، وما نالهم من مَعَرَّةِ التباين، وخذلان التنازع والتنافر، فإن الشيطان ما نزغ بين قوم إلا بدَّد شملهم وأبادهم، ولا تشاجروا إلا ذلوا وضعفوا وأصبحت قناتهم لينة لغامزها، وسيوفهم كهاماً عند هزها، ولا اتفق قومٌ وتعاضدوا إلا كانت لهم اليد الطولى، ولا تصافوا ولا تعاضدوا إلا كانت كلمتهم المثلى."[1].

أما الرسالة الأخرى فيشير فيها الخليفة إلى ما كان من ثناء السيدة أروى على سبأ حيث يقول "فقد عرف أمير المؤمنين ما تكررت به مكاتباتك مع نعيم الشاعر الهلالي ثم مع سعد الله ورفيقه الشيرازي، وساقه رسولك أبو النصر – سلَّمه الله وحفظه الله – بما كان من تسديد السلطان أبي حمير سبأ في جميع ما جرى بينه وبين السلطان أبي الربيع عامر بن سليمان الزواحي من المشاجرة والمنافرة، وما أفضت فيه على السلطان أبي حمير سبأ من الثناء والتزكية والإطراء"[2].

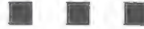
---

(١) عيون الأخبار وفنون الآثار ٧/ ١٦٩.

(٢) السابق نفسه ٧/ ١٦٧.

ويُعَبِّرُ الخليفة في مختتم هذه الرسالة عن رضاه عن سبأ فيقول: "وقد شكر له أمير المؤمنين ما طالعت به من هذه الأوصاف الحميدة، والمقامات الرشيدة، وأسعده في إجابته من هذه الجملة مما يحدوه على امتراء ما أكسبه فيه الرضي، ومهد له دواعي الزلفى."[1].

وغني عن البيان أن ثناء السيدة أروى على سبأ فيما بعثت به من رسائل إلى الخليفة الفاطمي فيه دليلٌ على تحيزها له، ووقوفها إلى جواره، ولست تستطيع أن تجد تفسيراً لتحيزها هذا إلا فيما آمنت به من دور العصبية القبلية في حماية الدولة الصليحية مما يتهددها من الأخطار.





(١) السابق نفسه والصفحة نفسها.

المبحث الرابع

جهوده في خدمة الدولة الصليحية

بدأ سبأ بن أحمد جهوده في خدمة الدولة الصليحية منذ عهد مؤسسها الأول الداعي علي بن محمد الذي استطاع أن يبسط نفوذه على اليمن كله من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه في فترة زمنية وجيزة، وذلك بعد ما خاض من حروب ضروس مع حكام أقاليمه الذين لم يتعودوا أن يخضعوا لسلطان حكومة مركزية[1]، ولقد رأى علي بن محمد أن يعتمد على المخلصين من أهل بيته وأتباعه في إدارة شئون البلاد، وكان سبأ بن أحمد أحد هؤلاء إذ يذكر المؤرخون أن تولى حصن أشيح الذي يصفه ابن سعيد بأنه "من أعظم حصون الجبال، وفيه خزائن بني المظفر"[2].

وكانت طبيعة عمل سبا في ذلك الوقت تشبه إلى حدٍّ كبير عمل المحافظ في وقتنا الحالي، لأن الداعي الصليحي كان يتعهد هؤلاء الولاة بالتوجيه والإرشاد، وكان يجمعهم من حين لآخر ليتشاور معهم في السياسات التي ينتهجها في إدارة شئون البلاد من ناحية، وليحاسبهم على ما كان منهم في ولاياتهم من تجاوزات من ناحية أخرى[3].

وفي أوائل عهد المكرم أحمد أسهم سبأ في تثبيت دعائم الدولة الصليحية بعد ما كادت تنسفها رياح الفتنة والاضطرابات الداخلية التي هبت عليها غِبَّ مقتل الداعي الصليحي وذلك حيث تولى بنفسه قيادة حملة عسكرية توجه بها إلى إقليم حضور لتأديب الخارجين على سلطان المكرم أحمد وفي هذا يقول ابن القم "فأوقع في بلاد حضور وقعة تولاها سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي، سلم فيها منازعهم، والتزم الطاعة بها خالعهم، واستقام حائدهم، وفاء شاردهم"[4].

---

(١) الصليحيون، صفحة ١١٤.

(٢) تاريخ اليمن، صفحة ١٥٣.

(٣) الصليحيون، صفحة

(٤) الصليحيون، ملحق رقم ٦، صفحة ٣١٢.

وكان لانتصار سبأ في هذه الواقعة أثره في رفع الروح المعنوية للمكرم أحمد وأتباعه الذين استطاعوا بعدها الاستيلاء على زبيد وإجلاء النجاحيين عنها[1]، ولقد كان لسبأ دوره أيضاً في واقعة زبيد هذه[2]، ومما تجدر الإشارة إليه أن المكرم أحمد بعد أن استوثق من استقرار الأمور بها ولي عليها سبأ بن أحمد ثم غادرها وانصرف إلى صنعاء.

وفي عهد عبد المستنصر علي بن المكرم أحمد رأت السيدة أروى أن تَشُدَّ أزر وليدها بسبأ بن أحمد فعينته نائباً له "حامياً لأطرافه من المعتدين الذين يرمونه بالبغي والفتك"[3]، وشمَّر سبأ لهؤلاء المعتدين عن ساعد الجد، وأخذ يعد العدة لملاقاة جياش بن نجاح الذي عاد إلى زبيد من الهند بعد علمه بوفاة المكرم أحمد، والتقى سبأ بن أحمد وعساكره بجيَّاش وعساكره في واقعة تسمى بواقعة الكظائم، ولم يستطع فيها أن يحرز أيٌّ من الزعيمين نصراً، وانصرف الفريقان بعد منازلات عنيفة كان من جرائها أن "عُقِر مهر الأمير سبأ، ...، وسار راجلاً في غمار الناس حتى حمله بعض جنده على جواده"[4]، ويُستفاد من إشارات المؤرخين أن سبأ وجيَّاشا كانا يتناوبان حكم تهامة فكان سبأ إذا برد النسيم حشد الحشود ونزل إلى تهامة فينزح جياش عن البلاد ، ويقيم سبأ يجبي خراجها، ويبسط العدل فيها، وكان يحتسب للعمال ما قبض منهم جياش في أشهر الصيف والخريف، فإذا انفصل الشتاء، وانصرم الربيع ارتحل بمن معه من العرب من تهامة إلى الجبال، وملك تهامة ابن نجاح والعبيد."[5].

---

(١) الصليحيون، صفحة ١١٥.

(٢) الصليحيون، ملحق رقم ٦ صفحة ٣١٦.

(٣) عيون الأخبار، وفنون الآثار ٧/ ١٦٢.

(٤) عيون الأخبار، وفنون الآثار ٧/ ١٦٣.

(٥) السابق، نفسه ٧/ ١٦٢.



الفصل الثالث

رسالة المديح والاستعطاف صناعة وتحقيق

كُتبَ عَبْدُ حَضْرَةِ السُّلْطَانِ الأَجَلِّ مولايَ ربيع الجدبين، وقريع[1] المتأدبين، جلاءِ[2] الملتبس، وذُكاءِ[3] المقتبس، شهاب المجدِ الثاقب، ونقيب ذوي المناقب[4]، - أطال اللهُ بقاءَه، وأدام عُلُوَّهُ وارتقاءَه -، ما أجابت العادِيةُ المستغير[5]، ولَزِمَتِ الياءُ التصغير، وجَعَلَ رُتْبَتَهُ في الأَوَّلِيَّة وافرةَ السهام[6]، كحرفِ الاستفهام، وكالمبتدأ لأنَّهُ[7] وإنْ تأخَّرَ في البِنْيَة فإنَّهُ مُقَدَّمٌ في النِّيَّة، ولا زالتْ حضرتُهُ للوفودِ مزدحما، ومن الحوادثِ حمى[8]، حتى يكونَ في العُلا بمنزلةِ حروفِ

---

(١) القريع: السيِّد، والرئيس. قال ابن منظور: "والقريع: السيِّد. يقال: فلان قريع دهره، وفلان قريع الكتيبة وقَرِيْعُها أي رئيسها". اللسان ٥/ ٣٥٩٧.

(٢) هذه رواية ابن شاكر الكتبي في "فوات الوفيات"، والصلاح الصفدي في "الوافي بالوفيات"، وفي معجم الأدباء لياقوت: جلوة.

(٣) هذه رواية كل من: ابن شاكر الكتبي في "فوات الوفيات"، والصلاح الصفدي في "الوافي بالوفيات"، وفي معجم الأدباء لياقوت: وجذوة.

(٤) هذه رواية كل من: ابن شاكر الكتبي في "فوات الوفيات"، والصلاح الصفدي في "الوافي بالوفيات"، وفي معجم الأدباء: ونقيب ذوي الرشد والمناقب. والنقيب "العريف، وهو شاهد القوم وضمينهم، .. وقيل: النقيب: الرئيس الأكبر، ....، وإنما قيل للنقيب نقيب لأنه يعلم دخيلة أمر القوم، ويعرف مناقبهم وهو الطريق إلى معرفة أمورهم". اللسان ٦/ ٤٥١٥.

(٥) هذه رواية ابن شاكر الكتبي في "فوات الوفيات"، والصلاح الصفدي في "الوافي بالوفيات"، والعادية: الخيل المغيرة. اللسان ٤/ ٢٨٤٥. والمستغير: المستنصر المستغيث، القاموس المحيط ٢/ ١٠٤، وفي رواية ياقوت في معجم الأدباء، ما قُدِّمَتْ العارِيةُ للمستعير.

(٦) هذه رواية فوات الوفيات، والوافي بالوفيات، وفي معجم الأدباء: عالية المقام.

(٧) هذه رواية فوات الوفيات، والوافي بالوفيات، وفي معجم الأدباء: وكالمبتدأ إنْ تأخَّرَ...

(٨) هذه رواية فوات الوفيات، والوافي بالوفيات، وفي معجم الأدباء: ولا زالت حضرته من الحادثات حمى، وللوفود مزدحما وملتزما.

الاستِعْلا[1]، فَإنَّهنَّ لحروفِ اللّينْ حُصُون[2]، وما جاوَرَهُنَّ عَنِ الإمالةِ[3] مَصُون، ولا زال عَدُوُّهُ كالألف، في أنَّ حالها تختلف[4]، فَتَسْقُطُ في صِلَةِ الكلام، لا سيما مع اللام[5]، ولا تكونُ أولاً بحال، وإن تقدم همز فاستحال[6]، لأنه[7] - أدام الله عُلُوَّه - أحسنَ إليَّ ابتداءً، ونشر عليَّ مِنْ فضلِهِ رداءً، أراد إخفاءَه فكشف خفاءَه[8]، ومن[9] شرفِ الإحسان سقوطُ ذكرِهِ عن اللسان، كالمفعولِ رُفِعَ رَفْعَ الفاعِلِ الكامل لَمّا حُذِفَ من الكلام ذِكْرُ العامِلِ، يُهْدِي إليه سلاما، ما الروض ضاحكَهُ النَّوْض[10]، غُرِسَ وحُرِس، وسُقِيَ ووُقِى، وغيْثَ[11] وصيب،

(١) هذه رواية كل من: ياقوت الحموي في 'معجم الأدباء'، وابن شاكر الكتبي في 'فوات الوفيات' وفي رواية الوافي بالوفيات: حتى يكون في العلاء بمنزلة حروف الاستعلاء، وحروف الاستعلاء هي: القاف، والظاء، والخاء، والصاد، والضاد، والغين، والطاء، وسميت مستعلية لأن اللسان يعلو عند النطق بها إلى الحنك الأعلى، أو لخروج صوتها من جهة العُلُوّ، وكل ما حلَّ في حال فهو عالٍ مستعلٍ يراجع نهاية القول المفيد في علم التجويد لمحمد مكي نصر ص ٤٩.

(٢) هذه رواية 'فوات الوفيات'، و'الوافي بالوفيات'، وفي معجم الأدباء: وهو من حروف اللين في حصون.

(٣) هذه رواية 'فوات الوفيات'، و'الوافي بالوفيات'، وفي معجم الأدباء: وما جاورها من الإمالة مصون.

(٤) هذه رواية 'فوات الوفيات'، و'الوافي بالوفيات'، وفي معجم الأدباء: كالألف حالها تختلف.

(٥) هذه رواية 'فوات الوفيات'، و'الوافي بالوفيات'، وفي معجم الأدباء: ولا سيما..

(٦) هذه رواية 'فوات الوفيات'، و'الوافي بالوفيات'، وهاتان الجملتان ليستا برواية معجم الأدباء.

(٧) هذه رواية 'فوات الوفيات'، و'الوافي بالوفيات'، وفي معجم الأدباء: فإنه ...

(٨) هذه رواية 'فوات الوفيات'، و'الوافي بالوفيات'، وفي معجم الأدباء: أراد أن يخفى وكيف يخفى؟.

(٩) هذه رواية 'فوات الوفيات'، و'الوافي بالوفيات'، وفي معجم الأدباء: لأن من.

(١٠) النَّوْض: تلألؤ البرق، والحركة، والعصعص، ومخرج الماء. القاموس المحيط ٢/ ٣٤٥.

(١١) هذه رواية 'فوات الوفيات'، و'الوافي بالوفيات'، وفي معجم الأدباء: غِيْبَ.

فأخذ من كل نَوْءٍ[1] بنصيب، زهاه الزهر، وسقاه النهر، جاور الأضا[2] فحسن وأضا[3]، رتعت فيه الفور[4]، ومرح العصفور، فاطلع من التمراد، وقد ظَفِرَ بالمراد[5]، فنظر إلى أقاحيه[6] تفتر في نواحيه، وإلى البهار[7] يضاحك شمس النهار، فجعل يلثم من ورده خدودا، ويهصر[8] من أغصانه قدودا، ويقتبس النار من الجلنار[9]، ويلتمس العقيق[10] من الشقيق[11]، فَغَرَّدَ[12] ثملا[13]، وغنّى خفيفاً

---

(١) النوء: هو النجم الذي يكون به المطر، وقد جاء في اللسان: "قال أبو عبيد الأنواء ثمانية وعشرون نجماً معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها من الصيف والشتاء والربيع والخريف، يسقط منها في كل ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر، يطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته، وكلاهما معلوم مسمى، وانقضاء هذه الثمانية وعشرين كلها مع انقضاء السنة، ثم يرجع الأمر إلى النجم الأول مع استئناف السنة المقبلة، وكانت العرب في الجاهلية إذا سقط منها نجم، وطلع آخر قالوا: لابد من أن يكون عند ذلك مطر أو رياح، فينسبون كل غيث يكون عند ذلك إلى ذلك النجم، فيقولون: مطرنا بنوء الثريا.." اللسان ٦/ ٤٥٦٧.

(٢) الأضا: أي الأضاة، وهي الغدير. اللسان ١/ ٩٠.

(٣) أضا: أي أضاء، وأنار ولمع.

(٤) هذه رواية "فوات الوفيات"، و"الوافي بالوفيات"، وفي معجم الأدباء: رتع فيه الشحرور، والفور: الظباء. القاموس المحيط ٢/ ١١١.

(٥) هذه رواية "فوات الوفيات"، و"الوافي بالوفيات"، وهاتان الجملتان ليستا في رواية معجم الأدباء. والتمراد: بيت صغير يجعل في بيت الحمام لِمَبْيَضِهِ. اللسان ٦/ ٤١٧٣.

(٦) الأقاحي: واحدته أقحوانة، والأقحوان من نبات الربيع، مفرَّض الورق، دقيق العيدان، له نَوْرٌ أبيض، وهو نَبْتٌ تُشَبَّه به الأسنان. اللسان ٥/ ٣٥٤٠.

(٧) البهار: العرار، وهو نبتٌ جَعْدٌ له فُقَّحةٌ صفراء ينبت أيام الربيع. اللسان ١/ ٣٧١.

(٨) يهصر: يجذب، ويعطف، قال ابن منظور: "والهصر عطف الشيء الرطب كالغصن ونحوه" اللسان ٦/ ٤٦٦٩.

(٩) الجلنار: زهر الرمان، مُعَرَّب كلنار. القاموس المحيط ١/ ٣٨٩.

(١٠) العقيق: خرز أحمر، يتخذ منه الفصوص. اللسان ٤/ ٣٠٤٥.

(١١) الشقيق: لعله يقصد شقائق النعمان، وواحدتها شقيقة. قال ابن منظور "وسميت بذلك لحمرتها على التشبيه بشقيقة البرق" اللسان ٤/ ٢٣٠١.

(١٢) هذه رواية "فوات الوفيات"، و"الوافي بالوفيات"، وفي معجم الأدباء: فَتَثَنَّى.

(١٣) ثملاً: متمايلاً متراقصاً كما يهتز الشارب من السُّكْر. اللسان ١/ ٥٠٥.

وَرَملاً[1]، بأطيب من نفحته المسكيَّة، وأعطر من رائحته الذكيَّة، مع[2] أني؛ وإنْ أهديتُهُ في كلِّ أوانٍ عـن أداءِ ما يجبُ عليَّ[3] غيرُ وانٍ، أعـدُّ نفسـي السُّكَيْت[4] لِلاَّحِق[5] لما يجبُ على مـن الحق، [أثرت][6] فعثرت، وجهدت فما سـعدت[7]، فأنا بحمد الله في حال خمول وقنوع[8]، وجناب عن غير[9] الغـير ممنـوع، فارقـت المتوج[10] بأزال[11]، ولزمت الخمول والاعتزال، سَعْيي سَعْيُ الجاهـد، وعِيْشـي عيشُ الزاهد ببلدٍ الأديبُ فيه غريب، والأريبُ كالمريب[12]، إن تكلـم اسـتُثْقِل، وإن سكت استُقْلِل، منازله[13] كبيوت العناكب، ومعيشته كعجالة الراكـب[14]،

---

(١) الخفيف والرمل: نوعـان مـن أنـواع الألحـان العربيـة الـواردة بكتـاب الأغـاني لأبـي الفـرج الأصفهاني، ولعل المقصود أن العصفور قد استخفه الطرف فراح يعزف ألحاناً متنوعة.

(٢) هذه رواية "فوات الوفيات"، و"الوافي بالوفيات"، وفي معجم الأدباء: وإني...

(٣) هذه رواية "فوات الوفيات"، و"الوافي بالوفيات"، وفي معجم الأدباء: "عن أداء ما يجب غير وان...".

(٤) السُّكَيْت: بتشديد الكاف، وفتحها العاشر الذي يجيء في آخر الخيـل إذا أجريـت بقـى مسكتا. اللسان ٣/ ٢٠٤٧، والمقصود أن الكاتب يعدُّ نفسه متأخراً عن أداء الواجـب علـى الـرغم ممـا بذل.

(٥) اللاحق: اللاحق من الخيل هو الذي يلحق بما سبقه مـن خيـل الحلبـة. ومـا أثبتُّـه هـو مـا ورد برواية "الوافي بالوفيات"، وفي معجم الأدباء: "أعد نفسي السكَّيْتَ في السَّبْقِ لتقصيري لما وجـب عليَّ من الحق"، وفي "فوات الوفيات": "أعد نفسي السكَّيْتَ اللأَّحق".

(٦) هذه رواية معجم الأدباء، وقد ارتضاها محقق "الوافي بالوفيات" وأثبتها في مـتن نصـه، وفي فـوات الوفيات "فعثرت، وجهدت فما أثرت".

(٧) هذه رواية معجم الأدباء، وقد ارتضيتها ليستقيم الكلام ويتم معناه، وفي الوافي: "وجهـدت فمـا أثرت" كما سبق أن أشرت في الهامش السابق.

(٨) هذه رواية "فوات الوفيات"، و"الوافي بالوفيات"، وفي معجم الأدباء: "فأنا بحمد الله بخنوع وقنوع".

(٩) هكذا وردت "بفوات الوفيات"، و"الوافي بالوفيات"، وفي معجم الأدباء: "عن غين العين ممنوع".

(١٠) هكذا وردت "بفوات الوفيات"، و"الوافي بالوفيات"، وفي معجم الأدباء: "المثول".

(١١) أزال: اسم من أسماء صنعاء.

(١٢) هكذا وردت "بفوات الوفيات"، و"الوافي بالوفيات"، وفي معجم الأدباء: "والأريب مريب".

(١٣) هذه رواية "فوات الوفيات"، و"الوافي بالوفيات"، وفي معجم الأدباء: منزله.

(١٤) هذه رواية معجم الأدباء، وفوات الوفيات، وفي الوافي بالوفيات: كعجالة راكب.

فهو كما قال أبو تمام حيث قال[1]:

أرضُ[2] الفلاحةِ لو أتاها جِرْوَلٌ ∴ أعني الحُطَيْئَةَ لاغتدي حرّاثا

لم آتِها[3] من أيِّ بابٍ جِئْتُها ∴ إلا حَسِبْتُ بيوتَها أجداثا

تصدا بها الأفهامُ بعد صِقَالها ∴ وتَرُدُّ ذكران العقولِ إناثا

أرضٌ خَلَعْتُ اللَّهْوَ خَلْعِيَ خاتمي ∴ فيها وطلَّقْتُ السُّرُورَ ثلاثا

وأما حالُ عَبْدِهِ بَعْدَ فِرَاقِهِ في الجَلَد، فما حال أمٍّ تِسْعَةٍ من الوَلَد ذكور كأنهم عقبان وكور[4]، اخترِمَ منهم ثمانية، وهي[5] على التاسع حانية، نادى النذير في البادية: يا للعادية يا للعادية[6]، فلما سمعت الداعي، ورأت الخيل وهي سواعي[7]، جعلت تنادي ولدها: الأناة الأناة، وهو ينادي: القناة القناة[8].

---

(١) الأبيات من قصيدة أبي تمام الثائية التي يمدح بها مالك بن طوق ومطلعها:

قِفْ بالطلولِ الدارساتِ عُلاثا ∴ أضحتْ حبالُ قَطِينِهِنَّ رِثاثا

يراجع: شرح ديوان أبي تمام لمحمد محيي الدين عبد الحميد ١/ ١٧١ – ١٧٨.

(٢) رواية الديوان: بلد الفلاحة. وما أثبتُّهُ هو الموجود عند ياقوت، وابن شاكر الكتبي، والصلاح الصفدي.

(٣) ما أثبته هو الرواية الموجودة بالديوان، وهي أيضاً رواية فوات الوفيات، والوافي بالوفيات، وفي معجم الأدباء: ما جئتها، وقد ضبطها ناشره بفتح التاء على الخطاب.

(٤) هذه رواية فوات الوفيات، والوافي بالوفيات، وفي معجم الأدباء: عقبانٌ وصقور، كُنُو في وكور..

(٥) هذه رواية معجم الأدباء، وفوات الوفيات، وفي الوافي: فهي.

(٦) هذه رواية فوات الوفيات، والوافي بالوفيات، وفي معجم الأدباء: نادى النذير: العُرْيَانُ في البادية لِلْعادية يا لَلْعَادية..

(٧) هذه رواية فوات الوفيات، والوافي بالوفيات، وفي معجم الأدباء: وهي سراعٌ.

(٨) هذه رواية فوات الوفيات، والوافي بالوفيات، وفي معجم الأدباء: العياة العياة، وقال ناشره في هامشه: لم أجد لفظة العياة في اللغة، والذي أظنه أنه يقول: العداة العداة. يراجع معجم الأدباء ١٠/ ١٣٦ هامش رقم ١.

بَطَلٌ كأنَّ ثيابه في سَرْحَةٍ[1] ∴ يُحْذَى نِعَالَ السِّبْتِ[2] ليس بتوأمِ[3]

فحين رآته يختال في غضون الزرد[4] المصون أنشأت تقول:

أسدُ أضبطُ[5] يمشي ∴ بين طرفاء وغِيلِ[6]

لباسُهُ مِنْ نسجِ دا ∴ ودَ كضحضاحِ المسيلِ[7]

فعرض له في البادية[8] أسد هصور كأن ذراعه مسد مضفور[9]

---

(١) السَّرْحَةُ: الشجرة، وفي بمعنى: على، والمعنى: كأن ثيابه على سرحة من طوله. يراجع شرح القصائد التسع المشهورات، صنعة أبي جعفر أحمد بن محمد النحاس ٢/ ٥١٩، والرواية في "الوافي بالوفيات" في سرجة، وهي خطأ.

(٢) نعال السِّبْت: هي النعال المدبوغة بالقرظ، وإنما قصدها لأن الملوك كانت تلبسها: يراجع السابق ٢/ ٥١٩.

(٣) ليس بتوأم: شرحه أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس بقوله: لم يولد معه آخر فيكون ضعيفا. يراجع السابق ٢/ ٥١٩. والبيت من قصيدة عنترة بن شداد العبسي برواية ابن النحاس يراجع السابق ٢/ ٥١٨.

(٤) الزَّرَد: حلق الدرع، والمِغْفَر، معجم متن اللغة ٣/ ٢٥.

(٥) أضبط: الأضبط هو الأسد يعمل بيساره كعمله بيمينه، اللسان ٤/ ٢٥٤٩.

(٦) الغيل: الشجر الكثير الملتف. اللسان ٥/ ٣٣٢٩، وقد ورد هذا البيت في اللسان في مادة "ضبط" بهذه الرواية منسوباً إلى مُؤَبِّنَةِ رَوْحِ بنِ زِنْبَاع، وورد في مادة "غيل" بهذه الرواية - أيضاً - غير منسوب لأحد. يراجع اللسان ٤/ ٢٥٤٩، ٥/ ٣٣٢٩.

(٧) الضحضاح: الماء القليل يكون في الغدير وغيره. اللسان ٤/ ٢٥٥٧، وما أثبته في المتن هو رواية البيتين في فوات الوفيات، والوافي بالوفيات، وفي معجم الأدباء:

نَشَدْتُ أضبطًا يميلْ ∴ بين طرفاءٍ وغيلْ

لباسُهُ من نسجِ داو ∴ دَ كضحضاحٍ يسيلْ

(٨) هذه هي رواية معجم الأدباء، وفي كلٍّ من فوات الوفيات، والوافي بالوفيات: فعرض له في العادية.

(٩) هذه هي رواية فوات الوفيات، وفي معجم الأدباء: كأن ذرعه مَسَدٌ مضفور، وفي الوافي بالوفيات: كأن ذراعه مَسَدٌ معصور.

فتطاعنا وتوافقت خيلاهما ∴ وكلاهما بطلُ اللِّقاءِ مُقَنَّعُ[1]

فلما سمعت صياح الرعيل، برزت من الصرم[2] بصبر قد عيل، فسألت عن الواحد، فقيل لها: لحده اللاحد.

فَكَرَّتْ تَبْتَغِيهِ فَصَادَفَتْهُ ∴ على دَمِهِ وَمَصْرعِهِ السِّبَاعا

عَبَثْنَ بِهِ فلم يَتْرُكْنَ إلاَّ ∴ أديمًا قد تمزّق أو كُراعا[3]

بأشدَّ من عبدكَ تأسُّفًا، ولا أعظم كمدًا ولا تلهُّفًا، وإنَّهُ لَيُعنِّفُ نَفْسَهُ دائما ويقول لها لائمًا: لو فَطِنْتِ لَقَطَنْتِ، ولو عَقَلْتِ لما انْتَقَلْتِ، [ولو سَعِدْتِ لما بَعُدْتِ]، فتقول مجيبة: ليس كما ظَنَنْتَ. بل لو قَدِمْتُ لَنَدِمْتُ، ولو رَجَعْتَ لما

---

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي من قصيدته التي مطلعها:

أمِنَ المنونِ وريبها تتوجَّعُ ∴ والدَّهرُ ليس بمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ

وروايته عند أبي سعيد السُّكَّريِّ:

فتنازلا وتوافقت خيلاهما ∴ وكلاهما بَطَلُ اللِّقاءِ مُخَدَّعُ

ولقد ذكر الروايات الأخرى للبيت فقال: "مُشَيَّعُ رواية ابن حبيب، وروى الأصمعي فتناديا، وروى معمر فتبادرا، ومخدع: مُجَرَّسٌ مُجَرَّبٌ قد قاتل وقوتل، وقال أبو عبيدة: مخدع: ذو خدعة في الحرب." يراجع كتاب شرح أشعار الهذليين ١/ ٣٨.

(٢) الصِّرْمُ: الأبيات المجتمعة المنقطعة من الناس، والفرقة من الناس ليسوا بالكثير. اللسان ٤/ ٢٤٤٠. وما أثبته هو ما ورد بفوات الوفيات، والوافي بالوفيات، وفي معجم الأدباء: برزت من الخِدْر.

(٣) البيتان للقطامي عمير بن شُيَيْم التغلبي المتوفى ١٠١هـ من قصيدته العينية في مديح زفر بن الحارث الكلابي التي مطلعها:

قِفِي قبل التفرُّقِ يا ضُباعا ∴ ولا يكُ موقفٌ منكِ الوَدَاعا

ورواية البيتين في الديوان صفحة ٢٧١:

فكَرَّتْ عندَ فِيقَتِها إليه ∴ فَأَلْفَتْ عِنْدَ مَرْبَضِهِ السِّبَاعا

لَعِبْنَ بِهِ فَلَمْ يَتْرُكْنَ إلا ∴ إهابًا قد تمزّق أو كُرَاعا

وعلّق جامع الديوان وشارحه فقال: أراد وكراعا. يراجع ديوان القطامي: دراسة وتحقيق للدكتور محمود الربيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م.

هَجَعْتُ.][1]

يقيمُ الرجالُ الموسرون بأرضهم ∴ وترمى النّوى بالمقترين المرامِيَا[2]

وما تركوا أوطانَهُمْ عن ملالةٍ ∴ ولكنْ حذارًا من شَمَاتِ الأعادِيَا[3]

أيها السيد: أمن العدل والإنصاف، ومحاسن الشيم والأوصاف، إكرام المهان، وإذالة[4] جواد الرّهان، يشبع في ساجورة كلبُ الزّبْل، ويَسْغَبُ في خِيْسِهِ أبو الشّبل؟

[للخَطْبِ والخُطَبِ البليغةِ أُنْدَبُ ∴ وإذا يحاسُ الحَيْسُ يُدْعَى جُنْدَبُ][5]

---

(١) هذه رواية الوافي بالوفيات، ولا وجود لهذا الجزء بمعجم الأدباء إذ الرواية فيه: ولو قَنَعْتِ لرجعتِ وما عَجَعْتِ، وسقطت منه أجزاء في مخطوطة فوات الوفيات، وتوهم الأستاذ إحسان عباس أن الساقط لفظة فقال: هنا سقطت لفظة ولعل الصواب: لو قَنَعْتِ لما نَدِمْتِ. يراجع فوات الوفيات ١/ ٣٨٤ هامش رقم ٩.

(٢) البيت الأول من هذين البيتين أحد أبيات ثلاثة تُنسَبُ لإياس بن القائف في ديوان الحماسة وهي:

يقيمُ الرجالُ الأغنياءُ بأرضهم ∴ وترمى النّوى بالمقترين المراميا

فأكرمْ أخاكَ الدّهْرَ ما دُمْتُما معا ∴ كفى بالمماتِ فرقةً وتنائِيَا

إذا زُرْتُ أرضًا بَعْد طولِ اجتنابها ∴ فَقَدْتُ صديقي والبلادُ كما هيا

يراجع ديوان الحماسة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي ١/ ٣٢٨ وما بعدها، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٣/ ١١٣٤.

(٣) جاء بهامش معجم الأدباء: كان حق الأعادي أن يُجَرَّ بكسر مُقَدَّرٍ لأنه قُرِنَ بأل، ولكن جُرَّ بفتحة وهذا عيب في القافية، ولعل شمات اسم مصدر لأشمت، وفاعله ياء متكلم مضافة محذوفة لفظًا ولكنها لم تكن مرسومة في البيت، والأعاديا: مفعول. يراجع معجم الأدباء ١٠/ ١٣٧ هامش رقم ٤.

(٤) هذه رواية فوات الوفيات، والوافي بالوفيات، وفي معجم الأدباء: وإذلال.

(٥) لا وجود لهذا البيت بنص الرسالة الوارد في معجم الأدباء، ولا وجود لها بنصها المثبت في فوات الوفيات، وعجزه هو عجز بيت ينسب لهنىٌّ بن أحمرَ الكنانيِّ، وقيل ينسب لزرافة الباهلي وصدره: وإذا تكون كريهة أدعى لها، والحيس: تمر يخلط بسمن وأقط، والمعنى: إنني أدعى في المغارم، وأنسى في المغانم يراجع اللسان مادة حيس ٢/ ١٠٦٩.

إذا حَلَّ ذو نَقْصٍ محلةً[1] فاضلٍ ∴ وأصبح ربُّ الجاه غيرَ وجيه
فإنَّ حياةَ المرءِ[2] غيرُ شهيَّةٍ ∴ إليه وطعمُ الموتِ غيرُ كريهِ[3]

أقول لنفسي الدنية: هبي طال نومُكِ، واستيقظي لاعزَّ قومُكِ، أرضيْتِ بالعطاءِ المنزور؟، وقَنَعْتِ بمواعيدِ الزورِ؟، يقظةً فإنَّ الجِدَّ قد هَجَع، ونُجْعَةً فَمَنْ أَجْدَبَ انْتجعَ أَعجَزْتَ في الإباء[4] عن خُلُق الحِرْباء، ولي لسانٌ كالرِّشاء[5]، تَسَنَّم[6] أعلى الأشياء[7]، ناط هِمَّتَهُ بالشَمْس، مع بُعْدِها عن اللَّمْس، أنف من ضيق الوجار ففرَّخ في الأشجار، فهو كالخطيب على الغصْنِ الرطيب، [وسام البوس فغيَّر الملبوس، وكَرِهَ العيش المسخوط فاستبدل خوطًا بخوط][8].

وإنَّ صريح الحزْم والرأي لامرئٍ ∴ إذا بلغتْهُ الشَّمْسُ أن يتحوَّلا[9]

---

(١) هذه رواية فوات الوفيات، والوافي بالوفيات، وقد أثبتها لأنها رواية الديوان أيضا، وفي معجم الأدباء: مكانة.

(٢) هذه رواية فوات الوفيات، والوافي بالوفيات، وقد أثبتها لأنها رواية الديوان أيضا، وفي معجم الأدباء: الحُرّ.

(٣) أغار على هذين البيتين محمد بن حمير الهمداني في قصيدته التي مطلعها:

خَلِيْلَيَّ ما جَانَبْتُ قومِيَ عَنْ قِلىً ∴ ولا عَنْ مَلالٍ حار فكري فيهِ

يراجع الديوان تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع، ص٢٠٥.

(٤) هذه رواية كل من: فوات الوفيات، والوافي بالوفيات، وفي معجم الأدباء: الأدباء.

(٥) هذه رواية معجم الأدباء، وفي فوات الوفيات، والوافي بالوفيات: أدْلَى لسانا كالرشاء.

(٦) في فوات الوفيات، والوافي بالوفيات: وتَسَنَّم، وَحَذَفْتُ الواو ليستقيم الكلام، وفي معجم الأدباء: تنسَّمَ.

(٧) هذه رواية فوات الوفيات، والوافي بالوفيات، وفي معجم الأدباء: السماء.

(٨) هذه رواية: الوافي بالوفيات، وهاتان الجملتان ليستا بنص الرسالة الوارد في معجم الأدباء، وليستا بنصها الوارد في فوات الوفيات.

(٩) البيت لأبي تمام من قصيدته التي يمدح فيها محمد بن عبد الملك الزَّيات ويعاتبه ومطلعها:

لهان علينا أن نقول وتفعلا ∴ ونذكرَ بعضَ الفضلِ عنك وتُفضِلا

يراجع ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ٣/١٠٦.

وقد أَصْحَبَ عبدُهُ هذه الأسطرَ شعْراً يُقَصِّرُ فيه عـن واجـب الحمـد، وإنْ بُنِيَتْ قافيتُه على المدّ، ومـا يَعُـدُّ نَفْسَـهُ إلا كمُهْـدِي جِلْـدَ السِّـبْتيِّ الأنمـر[1] إلى الديباج الأحمر، أين در[2] الحباب[3] من ثغـور الأحبـاب؟، وأيـن الشّـراب مـن السَّرَاب؟، والرَّكِيّ[4] البكـيّ مـن الـواد ذي المـواد[5]؟، أتطلـب الصـباحةُ مـن العُتْمِ[6]، والفصاحة مـن الغُـتْم[7]؟، غَلِـط مـن رأى الـلآل في القِـيّ[8] فشـبهه بهلهال الدبيقى[9]، هيهات. أين مناسجُ الرِّيـاط بسيْفَيْ تِنِّيْسَ ودِمْيَـاط[10]. لا أقول كما قال القائل[11]:

مَــنْ يســاجلني يســاجل ماجِــدًا ∴ يمــلأ الـدَّلْوَ إلى عقــد الكــربْ

بل أضع نفسي في أقل المواضع، وأقول لمولاي قول الخاضع:

---

(١) هذه رواية فوات الوفيات، والوافي بالوفيات، وفي معجم الأدباء: الأسمر.

(٢) هذه رواية فوات الوفيات، والوافي بالوفيات، وفي معجم الأدباء: ذو.

(٣) الحباب: بفتح الحاء الفقاقيع التي تعلو الماء والخمر، والطل على الشجر، ونضـجها، أول الـرِّيِّ، معجم متن اللغة ٢/ ٧ – ٨.

(٤) الرَّكِيّ:القليل الضعيف من المطر، معجم متن اللغة ٢/ ٦٤١.

(٥) هذه رواية فوات الوفيات، والوافي بالوفيات، وفي معجم الأدباء: ذي الغوادي.

(٦) العتم: جمع عاتم، وهو الضعيف الثقيل الممسي، والرجل الذي يجلب إبله ممسيًا حين ييـأس مـن الضعيف، معجم متن اللغة ٤/ ٢٤ – ٢٥.

(٧) الغتم:جمع أغتم وهو الذي لا يفصح ولا يبين، وفي معجم الأدباء: أتطلب الفصاحة من الغـنم؟ والصباحة من المغتم؟، وما أثبتناه هو ما ورد بفوات الوفيات، والوافي بالوفيات.

(٨) القى: القفر من الأرض، اللسان ٣/ ١٩٧ طبعة يوسف خياط، ونديم مرعشلي.

(٩) هلهال الدبيقي: جاء بهامش معجم الأدباء: الهلهال الثوب الرقيق، والـدبيقي: نسـبة إلى دبيـق: بلدة تصنع هذه الثياب. يراجع معجم الأدباء ١٠/ ١٣٩، هامش رقم ٥.

(١٠) هذه رواية الوافي بالوفيات، وفي معجم الأدباء: هيهات مناسج الرياط تُسْـبقُ تنـيس ودميـاط، وفي فوات الوفيات: إن مناسج الرياط تُسبَقُ تنيس ودمياط.

(١١) البيت للفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهـب في اللسـان مـادة سـجل، والروايـة في الـوافي بالوفيات: لا أقول إلا كما قال القائل، وهي خطأ واضح.

فَأَسْبِلْ عليها سِتْرَ معروفِكَ الذي ∴ سَتَرْتَ بِهِ قِدْمًا عليَّ عُوارِي[1]

وها هي هذه:

فيكَ بَرَّحْتُ بالعذولِ إباءَ ∴ وعصيتُ اللُّوَّامَ والنُّصَحَاءَ

فانثنى العاذلون أخيبَ مِنِّي ∴ يوم أزْمَعْتُمُ الرحيل رجاءَ[2]

مَنْ مُجيري من فاتِرِ اللَّحْظِ[3] الْمي[4] ∴ جَمَعَ النَّارَ خَدُّهُ والماءَ

فيه لِلَّيْلِ والنَّهارِ صِفَاتٌ ∴ فَلِهَذا سَرَّ القلوبَ وساءَ

لازمٌ شيمةَ الخلافِ فَإِنْ لِذْ ∴ تَ[5] قَسَا أَوْ دَنَوْتَ مِنْهُ تَنَاءَى

يا غريبَ الصِّفَاتِ حُقَّ لمن كا ∴ ن غريبًا أنْ يَرْحَمَ الغُرَبَاءَ

[...] من صدودِهِ وَتَجَنِّيْـ ∴ ـهِ وَإِشْمَاتِهِ بي الأعداءَ[6]

وإذا كَتَمْتُ ما بي من الوَجْـ ∴ ـدِ أَذَاعَتْهُ مُقْلَتَايَ بكاءَ

كَعَطَايَا سَبَا بنِ أحمد يُخْفِيْـ ∴ ـها فتزدادُ شهرةً ونماءَ

---

(١) البيت لأبي نواس من قصيدته التي يمدح فيها العباس بن عبيد الله، ومطلعها:

ديارُ نوارٍ ما ديارُ نوارِ ∴ كَسَوْنَكَ شجوًا هُنَّ مِنْهُ عَوَارِي

يراجع ديوان أبي نواس بتحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، صفحة ٤٣٥، ٤٣٦ -- وهذه هي روايته في الديوان، وفي نص الرسالة بالوافي بالوفيات، ورواية شطره الثاني في معجم الأدباء بنص الرسالة: سَتَرْتَ بِهِ قدْمًا مَخَازِي عَوْرَاتي، ورواية الشطر نفسه بنص الرسالة في فوات الوفيات: سَتَرْتَ بِهِ قِدْمًا على عَوَراتي.

(٢) هذه رواية فوات الوفيات، والوافي بالوفيات، وفي معجم الأدباء: رخاءَ.

(٣) هذه رواية معجم الأدباء، وفوات الوافيات، وفي الوافي بالوفيات: الطرف.

(٤) ألمى: أي أسود الشفاة.

(٥) هذه رواية فوات الوفيات، والوافي بالوفيات، وفي معجم الأدباء: لُذتَ.

(٦) هذه رواية فوات الوفيات وفي أول البيت على ما يبدو كلمة ساقطة، ولم يشر الدكتور إحسان عباس إلى ذلك، ورواية البيت في معجم الأدباء: من صدود ولوعتي وتَجَنِّيهِ، وفي الوافي بالوفيات وردت الشطرة الأولى هكذا: حرباً من صدوده وتَجَنِّيهِ.

أريحـــيٌ يَهُـــزُّهُ المـــدحُ للجُـــو	∴	دِ[1]، وَإِنْ لَمْ تَمْدَحْـهُ جَـادَ ابتـداءَ
ألْمَعِـــيٌّ يكـــادُ يُنْبِيـــكَ عَمَّـــا	∴	كـــان في الغيـــبِ فطنـــةً وذكـــاءَ
وإذا أخْلَـــفَ السَّـــمَاءُ بـــأرضٍ	∴	أخْلَفَـــتْ راحتـــاهُ ذاكَ الســـماءَ
بِنَـدىً يُخجِـلُ الغيـوثَ انهمـالاً	∴	وَجَـدًى يُنْهِـلُ الرِّمَـاحَ الظِّمَـاءَ
مـا أبـالي إذا أحْسَـنَ الـدَّهْرُ فيـه	∴	أحْسَنَ الدَّهْرُ بـالوَرَى[2] أمْ أسـاءَ
أيُّهـــا الطالِـــبُ الغـــنيَ زُرْهُ تَظْفَـــر	∴	بعطـــاءٍ يُخْجِـــلُ الأنْـــوَاءَ[3]
تَلْـقَ مِنْـهُ المهـذَّبَ الماجِـدَ النَّـدْ	∴	بَ الكـــريمَ السَّـــمَيْدَعَ الأَبَـــاءَ
راحـــةٌ في النَّـــدَى تُنِيْـــلُ نُضَـــارًا	∴	وحسامٌ في الـرَّوْعِ يَهْمِـي دمـاءَ[4]
إنْ سَـطَا أرْهَـبَ الضَّـرَاغِمَ في الآ	∴	جـامِ أو جـادَ بَخَّـلَ الكُرَمَـاءَ[5]
شِـيَمٌ مِـنْ أبِيْـهِ أحْمَـدَ لا ينـــ	∴	ـــفكُّ عنهـا تَتَبُّعًـا واقْتِفَـاءَ[6]

---

(١) هذه رواية البيت في فوات الوفيات، والوافي بالوفيات، وفي معجم الأدباء: نَرْتَجِيْهِ بهذهِ المِدَحِ الجود، إنْ لمْ نمْدَحْهُ جاد ابتداءَ.

(٢) هذه رواية فوات الوفيات، والوافي بالوفيات، وفي معجم الأدباء: للورى.

(٣) هذه رواية الوافي بالوفيات، وفي معجم الآباء:

أيُّهــا المُجــدِبُ الضَّــرِيْكُ التَجِعْــهُ	∴	فعطايـــاهُ تَسْـــبِقُ الأنْـــوَاءَ

ورواية فوات الوفيات مطابقة لرواية الوافي بالوفيات إلا في قول الشاعر: بعطاء فإنه في الفوات: بعطايا.

(٤) من بداية هذا البيت اضطرب ترتيب أبيات النص في المصادر الثلاثة المذكورة، وقد اخترت ترتيب الدكتور إحسان عباس للأبيات لأنه يناسب المعنى. والجدير بالإشارة أن هذا البيت هو البيت السابع عشر في معجم الأدباء، وفوات الوفيات، وهو البيت الثامن عشر في الوافي بالوفيات.

(٥) هذا هو البيت الثاني والعشرون في معجم الأدباء، وترتيبه في نص الوافي بالوفيات السابع عشر.

(٦) هذا هو البيت الثالث والعشرون في رواية النص بمعجم الأدباء، وترتيبه في النص الوارد بالوافي بالوفيات التاسع عشر.

قـد تعـاطى في المجـد شـأوك قـوم ∴ عجـزوا واحتملـت فيـه العنـاء[1]

شَـرَفًا شـامِخًا ومجـدًا مُنِيْفًـا ∴ حِمْيَرِيًّـا[2] وعِـزَّةً[3] قَعْسَـاءَ[4]

يـا أبـا حِمْيَـرٍ دعوتُـكَ للدَّهْـ ∴ ـرِ فكُنْتَ أمرءًا يُجِيْبُ الدُّعاءَ[5]

فَـأَبَى البُخْـلُ أنْ يكـونَ أمامـا ∴ وأبـى الجـودُ أنْ يكـونَ وراءَ[6]

أنـا أشـكو إليـك جَـوْرَ زمـانٍ ∴ دَأْبُـهُ أنْ يُعانِـدَ الأدبـاءَ[7]

أهْمَلَتْنِـي صـروفُهُ وكـأنّي ∴ أَلِـفُ الوَصْـلِ أُلْغِيَـتْ إلغـاءَ[8]

مـال عنّـي بمـا أُؤَمِّـلُ فيـه ∴ كُلَّما قُلْتُ سوف يَأسُو أساءَ[9]

---

(١) هذا البيت هو الرابع والعشرون في رواية النص بمعجم الأدباء، وترتيبه في النص الوارد بالوافي بالوفيات الحادي والعشرون.

(٢) هذه رواية معجم الأدباء، وهي الأليق بالمعنى، وفي فوات الوفيات: عدمليًا، وفي الوافي بالوفيات: عُدْمَلِيًّا.

(٣) هذه رواية فوات الوفيات، والوافي بالوفيات، وهي الأليق بالمعنى، وفي معجم الأدباء: وغيرة.

(٤) هذا هو البيت الخامس والعشرون في رواية النص بمعجم الأدباء، وترتيبه في الوافي بالوفيات الثالث والعشرون من أبيات النص.

(٥) هذا هو البيت الثامن عشر في رواية النص بمعجم الأدباء، وهو البيت العشرون في ترتيب أبيات النص بالوافي بالوفيات.

(٦) هذا هو البيت التاسع عشر في رواية النص بمعجم الأدباء، وهو البيت الثاني والعشرون في ترتيب أبيات النص بالوافي بالوفيات.

(٧) هذا هو البيت العشرون في رواية النص بمعجم الأدباء، وهو البيت الرابع والعشرون في ترتيب أبيات النص بالوافي بالوفيات.

(٨) هذا هو البيت الحادي والعشرون في رواية النص بمعجم الأدباء، وهو البيت السادس والعشرون في ترتيب أبيات النص بالوافي بالوفيات.

(٩) هذا هو البيت السادس والعشرون في رواية النص بمعجم الأدباء، وهو البيت الخامس والعشرون في ترتيب أبيات النص بالوافي بالوفيات.

رهن بَيْتٍ لو استقرَّ به اليـ ⁂ ـربوعُ لم يَرْضَهُ له نافقاء[1]

نَقَصتَني نَقْصَ المرخِم[2] حتى ⁂ خِلْتَني في فم الزَّمانِ نِداءَ[3]

منعتني من التصرف منع الـ ⁂ ـعلل التسع صرفها الأسماءَ

يا أبا حِمْيَرٍ وحرمةِ إحسا ⁂ نِكَ عندي ما كان حُبِّي رياءَ

ما ظَنَنْتُ الزَّمانَ يُبْعِدُني عنـ ⁂ ـكَ إلى أنْ أفارِقَ الأحياءَ

غَيْرَ أنّي فَدَتْكَ نفسي من السو ⁂ ءِ وإنْ قلَّ أن تكونَ فِداءَ

ضاع سَعْيي وَخِيْبَتُ خابَتْ أعا ⁂ دِيكَ وَمَنْ يَبْتَغِي لك الأسواءَ

واحْتَمَلْتُ الحِرْمَانَ[4] والنَّقْصَ والإبْـ ⁂ ـعادَ والذُّلَّ والعَنا والجَفاءَ

وَتَحَمَّلْتُ واصطبرتُ[5] فما أبـ ⁂ ـقى على عُودِي الزَّمانُ لِحاءَ

أعلى هذه المصيبةِ صَبْرٌ؟ ⁂ لا ولو كُنْتَ صَخْرَةً صَمَّاءَ

ولو أني لم أعتمدْ دون غيري ⁂ لتأسَّيْتُ أنْ أموت وفاءَ

غَيْرَ أنَّ التصريحَ لبس بخافٍ ⁂ عِنْدَ مَنْ كان يَفْهَمُ الإيماءَ

غَيْرَ أنّي مُثْنٍ عليك وما لُمْـ ⁂ ـتُ على ما لَقِيْتُ إلا القضاءَ

---

(١) من بداية هذا البيت عادت المصادر الثلاثة المذكورة فاتفقت على ترتيب واحد للأبيات حتى نهاية النص. وقول الشاعر: لم يرضه له نافقاء هي الرواية الواردة بمعجم الأدباء، وفوات الوفيات، وفي الوافي بالوفيات لم يرضه قاصعاء.

(٢) هذه هي رواية النص في الوافي بالوفيات، وهي الأليق بالمعنى، وفي معجم الأدباء: نَقَضْتَني نَقْضَ المرجّم.

(٣) في الوافي بالوفيات: فيه، وما أثبته هو ما ورد بمعجم الأدباء، وفوات الوفيات.

(٤) هذه رواية فوات الوفيات، والوافي بالوفيات، وهي الأليق بالمعنى، وفي معجم الأدباء: الزمان.

(٥) هذه هي رواية فوات الوفيات، والوافي بالوافيات، وفي معجم الأدباء: واضطربت.

وسـيأتيك في البعـادِ وفي القـر ∴ بِ مـديحٌ يُجَمِّـلُ[1] الشُّـعَراءَ

فَبِشُـكرٍ رحلـتُ عنـك وألقـا ∴ كَ بِـهِ إِنْ قَضَـى الإلـهُ لِقَـاءَ

لـيس يبقـى في الـدَّهْرِ غَيْـرُ ثنـاءٍ ∴ فاكتسـب مـا اسـتطعتَ ذاكَ الثنـاءَ

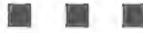
التخريج:

١- معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٠/ ١٣٢ – ١٤٦.

٢- فوات الوفيات لابن شاكر ١/ ٣٨١ - ٣٨٨.

٣- الوافي بالوفيات للصفدي ١٣/ ٧ – ١٥.

٤- حسن التوسل إلى صناعة الترسل للشهاب محمود الحلبي ١١٥.





(١) هذه هي الرواية في فوات الوفيات، والوافي بالوفيات، وفي معجم الأدباء: يستوقف.

الفصل الرابع

التناص والتحويل النصي في رسالة المديح



التناص في رسالة المديح والاستعطاف

في البداية أود أن أشير إلى أنني سأتحدث عن التناص في هذا المبحث بالمعنى الذي عناه جيرار جينيت وهو "حالة حضور نص أو أكثر في نصٍ آخر استشهاداً، أو تلميحاً، أو سرقة"[1]، وذلك بغية الكشف عن الدور الذي أداه الموروث الشعري القديم في نص ابن القم.

وأول المواضع التي حدث فيها التناص بمفهوم جينيت مع الشعر القديم في الرسالة كان في سياق حديث ابن القم عن وصف حالتيه الأدبية والمادية، بعد مفارقة سبأ بن أحمد يقول الكاتب: "فارقْتُ المتوّجَ بأزال، ولَزِمْتُ الخمولَ والاعتزال، سعْيي سعْيُ الجاهد، وعيْشي عيشُ الزاهد، ببلدٍ الأديبُ فيه غريب. والأريبُ كالمريب، إنْ تكلّم استُثقِل، وإنْ سَكَتَ اسْتَقْلِل، منازلُهُ كبيوتِ العَنَاكِب، ومعيشتُهُ كعُجَالَةِ الراكب، فهو كما قال أبو تمام حيث قال:

أرضُ الفلاحَةِ لو أتاها جِرْوَلٌ ... أعني الحطيئةَ لاغتدي حَرّاثا
لم آتها من أيٍّ باب جئتُها ... إلا حَسِبْتُ بيوتها أجْدَاثا
تُصْدَا بها الأفهامُ بَعْدُ صِقَالِها ... وتردُّ ذكرانَ العقول إناثا
أرضٌ خلعتُ اللَّهْوَ خَلْعِي خاتمي ... فيها وطلَّقْتُ السُّرورَ ثلاثا"[2].

وأبيات أبي تمام التي اختتم بها الكاتب فقرته هي من قصيدته الثّائية التي مدح بها مالك بن طوق، وعاتبه فيها على تأخُّر نواله حيث يقول قبل هذه

---

(١) في التعالي النصي والمتعاليات النصّيّة، محمد الهادي المطوي، مقال بمجلة المجلة العربية للثقافة، السنة السادسة عشرة العدد ٣٢، صفحة ١٩٥.

(٢) ينظر: معجم الأدباء ١٠/ ١٣٤ - ١٣٥، وفوات الوفيات ١/ ٣٨٣، والوافي بالوفيات ١٣/ ٨ - ٩، وصفحة ٨٢ من هذا البحث.

الأبيات الأربعة مباشرة موجهاً الخطاب إليه[1]:

يا مالكُ ابنَ المالكين أرى الذي | كنا نؤمِّلُ من عطائِكَ راثا
لولا اعتمادُكَ كنتُ في مندوحةٍ | عن بَرْقَعِيْدَ وأرض باعيناثا
والكامِخِيَّةُ لم تكن لي موطناً | ومقابر اللذات من قبراثا
بلدُ الفلاحةِ لو أتاها جِرْوَلٌ | أعني الحطيئة لاغتدي حرّاثا

واستشهاد ابن القم بما استشهد به من أبيات أبي تمام كانت تقف وراءه - فيما أظن - الرغبة في أن يقول لسبأ إن الأرض التي استوطنتُها بعد مفارقتك لا تناسبني ولا أناسبها، وإنما هي تناسب رجلاً متواضعاً ضعيف الهمة ممن يتجنبون زحام الحياة كالحطيئة الذي كانت أقصى أمانيه أن يكون حراثا.

وغنيٌّ عن البيان أن هذا التناص الاستشهادي في رسالة ابن القم قد أدّى إلى لون آخر من ألوان التناص هو التناص التلميحي حين استدعى إلى الذاكرة من اللاوعي حالة الحطيئة وما كان عليه من الذلة والمسكنة وهو يشكو إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ويقول[2]:

أشكو إليك، فأشكني ذريةً | لا يشبعون وأمُّهم لا تشبَعُ
وجفاءَ مولايَ الضنينِ بمالِهِ | وولوعَ نفسٍ همُّها بِيَ موزعُ
والحِرْفَةَ القِدْمى، وأنَّ عشيرتي | رزعوا الحروث، وأنني لا أزرَعُ

وفي موضع ثانٍ من الرسالة يصف ابن القم حالته النفسية، ويصور ما استولى عليها من الهم والحَزَن فيقول: "وأما حالُ عَبْدِهِ بعد فراقِهِ في الجَلَد فما حالُ أمٍّ تسعةٍ من الولد ذكور، كأنهم عقبان وكور، اخترم منهم ثمانية، وهي على التاسع حانية، نادى النذير في البادية: يااللعادية، يااللعادية، فلما سمعت الداعي، ورأت الخيل وهي سواعي، جعلت تنادي ولدها، الأناة الأناة، وهو

(١) شرح ديوان أبي تمام لمحمد محيي الدين عبد الحميد ١/ ١٧٧.
(٢) السابق نفسه ١/ ١٧٨.

ينادي: القناة القناة.

بطلٌ كأنَّ ثيابهُ في سَرْحةٍ يُحْذَى نِعالَ السِّبْتِ ليس بتوأمِ

فحين رأته يختال في غضون الزرد المصون أنشأت تقول:

أسدٌ أضبط يمشي بين طرفاءٍ وغيلِ
لباسُهُ من نسج داود كضحضاح المسيل

فعرض له في البادية أسدٌ هصور، كأن ذراعه مسدٌ مضفور

فتطاعنا وتوافقتْ خيلاهما وكلاهما بطلُ اللِّقاءِ مُقَنَّعُ

فلما سمعت صياح الرعيل برزت من الصرم بصبر قد عيل، فسألت عن الواحد فقيل لها: لحده اللاحد

فَكَرَّتْ تَبْتَغِيْهِ فصادفتْهُ على دمه ومصرعه السِّبَاعا
عَبَثْنَ بِهِ يترُكْنَ إلا أديماً قد تمزَّق أو كراعا

بأشدَّ مِنْ عَبْدكَ تأسُّفا. ولا أعظم كمدًا ولا تلهُّفا."[1].

والكاتب في هذه الفقرة استخدم في تصوير تأسُّفِهِ وكمدِهِ وتلهُّفِهِ طريقةً بديعية تسمى بالتفريع، وهي تقوم على أن يُصَدِّرَ الشاعر أو المتكلم كلامَهُ باسم منفيٍّ بما خاصة، ثم يصف الاسم المنفي بمعظم أوصافه اللائقة به إما في الحسن أو القبح، ثم يجعله أصلاً يُفَرِّعُ منه معنًى في جملة من جار ومجرور متعلقة به تعلُّق مدح أو هجاء أو فخرٍ أو نسيب أو غير ذلك يُفْهم من ذلك مساواة المذكور بالاسم المنفي الموصوف."[2].

---

(١) ينظر: معجم الأدباء ١٠/ ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، وفوات الوفيات ١/ ٣٨٣ - ٣٨٤، والوافي بالوفيات ١٣/ ٩، ١٠، حسن التوسل إلى صناعة الترسل ص١١٥، والصفحات ٨٥، ٨٦، ٨٧ من هذا البحث.

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع المصري صفحة ٣٧٣، وحسن التوسل إلى صناعة الترسل ص١١٤.

ويكتسب هذا الأسلوب قيمته – في تصوري – من كونه لوناً من ألوان الاستطراد المركب الذي يبدأ فيه المبدع بالحديث عن موضوع، ثم يستطرد منه إلى موضوع آخر، ثم يعود بعد ذلك إلى الموضوع المستطرد منه مرة ثانية[1].

إن ابن القم في هذه الفقرة من الرسالة قد شرع في وصف حالته النفسية فقال: "وأما حالُ عَبْدِهِ بَعْدَ فراقِهِ في الجلد.." ثم استطرد بالتفريع من هذا الحديث إلى وصف حال أمٍّ فقدت ثمانية من أولادها الذكور الشجعان، وتحاول بكل ما في مُكْنَتِها من قوة أن تمنع ولدها التاسع الأخير من أن تغتاله المنون، ثم عاد بعد ذلك إلى الموضوع الذي بدأ به وهو وصف حالته النفسية.

والتناص الشعري في هذه الفقرة من الرسالة قد وقع في الجزء الخاص بوصف ابن القم حال الأم الثكلى.

إن هذه الأم قد أصابها الخدر أو ما يشبه الخدر مما ترادف عليها من الهموم، وتتابع من الأحزان، فلقد كان لها تسعة من الولد كانت تنظر إليهم فترى فيهم الدرع الواقية، والجُنَّة الحامية من غدر الزمان وبطشه ولم يمض وقتٌ طويل حتى اختطفت يد المنون منهم ثمانية، ولم يبق لهذه الأم إلا ولدٌ واحد فهي عليه جِدُّ حريصة، وفي يوم من الأيام سمعت النذير ينادي مستغيثاً مستصرخاً يخبر قومه بأن خيلاً مغيرة تعدو على منازل الحي، وإذا بها تخرج فترى خيل قومها تسعى لتجيب النذير، وترى ولدها التاسع الأخير على فرسه في مقدمة الفرسان، ويدور الحوار بين الأم الثكلى وبين ولدها الأخير، هي تقول بصوت خفيض ضعيف حزين: الأناة الأناة، إنها تدعوه إلى التمهل، إنها تريد أن تستبقيه، لكنه يأمرها بصوت عالٍ: القناة القناة، ثم يردِّد قول عنترة بن شداد

---

(١) ينظر في الاستطراد وأنواعه وجمالياته: مفهوم الاستطراد عند البلاغيين وأسسه الجمالية، للدكتور نبيل نوفل، مقال بمجلة كلية الآداب – جامعة الزقازيق – فرع بنها العدد الأول ٩١ / ١٩٩٢م.

العبسي»[1].

بطلٌ كأن ثيابه في سَرْحَةٍ يُحْذَى نعَالَ السِّبْتِ ليس بِتَوْأَمِ

وكأنه يقول: إنني فارس هذه المعمعة، ليس لها فارس غيري يمتلك ما أمتلك من أسباب القوة والبأس.

ويبدو أن أمه حين رأت إصراره على موقفه، وعلمت من نفسها أنها لن تستطيع أن تثنيه عما يريد أخذت تعزي نفسها فيه بترديد بيتين قالتهما امرأة أخرى مثلها في تأبين روح بن زنباع وهما[2]:

أسدٌ أضبط يمشي بين طرفاءٍ وغيلِ

لباسُهُ من نسج داو د كضحضاح المسيل

إن بيتي هذه المؤبنة في موقعهما هذا من سياق الحكي يدلان على أن الأم حين رأت ولدها على فرسه، وبيده قناته تذكرت بطلاً كَمِيًّا هو روح بن زنباع، وتذكرت ما جرى له من القتل على الرغم مما كان يتترس به ممن لباس، وأيقنت في ضميرها أن ولدها صائر إلى ما صار إليه روح لا محالة، لكنها طوت صدرها على ما أيقنت، ولم تبح له به، وفهم هو من ترديدها البيتين ما يفهمه العَجِلُ من ظاهر النص، لقد فهم أنها به جِدُّ معجبة، وانطلق لا يلوي على شيء فقابله فارس

فتطاعنا وتوافقتْ خيلاهما وكلاهما بطلُ اللّقاءِ مُقَنَّعُ

والحاكي/ ابن القم حين أورد هذا البيت في موقعه من سياق الحكي كان يومئ إلى المصير الذي لقيه ولد الأم التاسع، لأن هذا البيت من قصيدة أبي ذؤيب الهذلي العينية التي قالها في رثاء أولاده[3].

(١) ينظر: شرح القصائد التسع المشهورات، صنعة أبي جعفر النحاس ٢/ ٥١٨، وصفحة ٧٨ من هذا البحث.

(٢) ينظر: اللسان ٤/ ٢٥٤٩، وصفحة ٨٦ من هذا البحث.

(٣) ينظر: شرح أشعار الهذليين ١/ ٣٨، وصفحة ٨٧ من هذا البحث.

وتسمع الأم صراخا وعويلا فتخرج تتحسس الأخبار وتسأل عن وحيدها فتجده قد لقى ما توقعت له من مصير وهنا يورد الحاكي بيتي القطامي[1]:

فَكَرَّت تبتغين فصادفتُه | على دَمِهِ ومصرعه السِّبَاعا
عَبَثْنَ به فلم يَتْرُكْنَ إلا | أديماً ثُمَزَّقَ أو كُرَاعا

من قصيدته العينية في امتداح زفر بن الحارث الكلابي

وفي تصوري أن ابن القم حين أورد بيتي القطامي في هذا السياق كان يريد أن يشير إلى أن هذه المرأة قد أصابها ما أصاب ناقة القطامي هذه بعد فقدها وليدها، وأنها قد انكفأت على وليدها تتحسسه وتشمه كما انكفأت ناقة القطامي على وليدها تتحسسه وتشمه

فَسَافَتْهُ قليلاً ثُمَّ وَلَّت | لها لَهَبٌ تُثِيرُ به النِّقَاعا[2]

ولعلي أستطيع – بعد هذا التحليل – أن أقول: إن هذا الجزء المستطرد إليه من نص رسالة ابن القم فيه لونان من ألوان التناص أحدهما ظاهِرٌ جَلِيٌّ، والآخر مستتر خَفِيٌّ، أما التناص الظاهر فتمثله هذه النصوص الشعرية التي ذكرها الكاتب في غضونه، وأما التناص الخفي فيمثله الجزء المستطرد إليه كله بوصفه جنساً أدبيا (حَكْياً) مغايراً للجنس الأدبي للنص الأصلي (الرسالة).

ويقول ابن القم في معاتبة نفسه: "وإن لَيُعَنِّفُ نَفْسَه دائماً يقول لها لائماً: لو فَطِنْتِ لَفَطَنْتِ، ولو عَقَلْتِ لما انتقلْتِ، ولو سَعِدْتِ لما بَعُدْتِ، فتقول مجيبةً: ليس كما ظننْتَ، بل لو قَدِمْتُ لَنَدِمْتُ ولو رجعتُ لما هجعْتُ

يُقِيمُ الرِّجالُ الموسرون بأرضهم | وترمي النَّوى بالمقترين المراميا
وما تركوا أوطانهم عن ملالة | ولكنْ حذاراً من شماتِ الأعاديا[3].

(١) ينظر: ديوان القطامي في جوابه، وصفحة ٨٧ من هذا البحث.

(٢) ديوان القطامي ص٢٧٢.

(٣) ينظر: معجم الأدباء ١٠/ ١٣٧، وفوات الوفيات ١/ ٣٨٤ – ٣٨٥، والوافي بالوفيات ١٣/ ١٠، وصفحة ٨٧، ٨٨.

ففي هذا الجزء من أجزاء الرسالة لونان من ألـوان البـديع همـا الاسـتعانة والتشهير، أما الاستعانة فهي كما عرفها ابن أبي الإصبع المصري أن يأتي النـاثر في أثناء نثره ببيت لغيره[1]، وأما التشهير فهو أن يأتي الناثر" في أثناء نثـره ببيـت لنفسه"[2].

وفي تصوري أن الاستعانة والتشهير كليهما لونان من ألوان التناص لأنهما آليتان يُدْخِلُ بهما الكاتب في نصه ما ليس منه من شعره، أو من شعر غيره.

وابن القم في هذا الجزء من الرسالة قـد اسـتعان بالبيـت الأول مـن ثلاثـة الأبيات المنسوبة لإياس بن القائف في حماسة أبي تمام وهي[3]:

يقـيم الرجـالُ الأغنيـاءُ بأرضـهم	**وترمـي النَّـوى بـالمقترين المراميـا**
فأكرِمْ أخاكَ الدَّهْرَ مـا دمتمـا معـا	**كفـى بالممـات فرقـةً وتنائيـا**
إذا زُرْتُ أرضاً بعد طـول اجتنابِهـا	**فقدتُ صديقي والـبلادُ كمـا هيـا**

واستعانة ابن القم ببيت إياس بن القائف في هذا السياق قد أفـادت معنـى التحسُّر، لأن نفس الكاتب ترد عليه الحِديث، وتشرح وجهة نظرهـا في صـواب ما أخذت من قرار الابتعاد فتقول: لو رجعتُ عن فـراق سبأ لمـا استطعتُ أن أتنعم بالهدوء والراحة لما سوف أعانيه من الجوع والفاقـة، ثـم تواصـل حـديثها قائلة: إن الرجال الأغنياء وحدهم هـم الـذين لا يقاسـون آلام الاغـتراب، أمـا الرجال الفقراء المعـدمون فهـم وحـدهم الـذين تلجئهم ضـرورات الحيـاة إلى الضرب في فجاج الأرض.

ولأن سبأ بن أحمد كان منشأ بالشعر على حد قـول عمـارة[4]، ولأنـه كـان

---

(١) تحرير التحبير صفحة ٣٨٣.

(٢) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) ينظر: ديوان الحماسة ١/ ٣٢٨.

(٤) ينظر: تاريخ اليمن صفحة ٦٤، ٦٥، وصفحة ٦٦ من هذا البحث.

سلطان زمانه اكتفى الكاتب بالاستعانة بالبيت الأول من أبيات إياس إذ لا يصح أن يخاطَبَ السلطان بصيغة الأمر التي خاطب بها إياس صاحبه، كما لا يصحُ أن يُعَنَّفَ ويُوَبَّخ بمثل ما عَنَّفَ به إياسٌ مخاطبه ووبّخه في ثالث أبياته.

وفي رأيي أن التشهير الذي أعقب الاستعانة في هذه الفقرة من الرسالة كان يهدف الكاتب من ورائه أن يقول لسبأ: إنني تحملت ما تحملت من آلام الاغتراب حتى لا أشمت بي الأعداء، أما الوطن فحبه عالق بالقلب لا يزول ولا يتغير، وكأني به والأمر كذلك يحاول أن يبرئ ساحته أمام سبأ من تهمة ألصقها به أعداؤه.

ويتوجه ابن القم بالخطاب إلى سبأ بن أحمد فيقول: أيها السيِّد: أمن العدل والإنصاف، ومحاسن الشيم والأوصاف إكرام المهان، وإذالةُ جواد الرهان، يَشْبَعُ في ساجوره كَلْبُ الزِّبل، ويسغب في خيسه أبو الشبل؟

للخطب والخُطَبِ البليغةِ أَنْدَبُ	وإذا يحاسُ الحيسُ يُدْعَى جُنْدَبُ
إذا حلّ ذو نَقْصٍ محلة فاضلٍ	وأصبح ربُّ الجاه غَيْرَ وجيهِ
فإنَّ حياةَ المرءِ غيرُ شهيّةٍ	إليه وَطَعْمَ الموتِ غيرُ كريهِ[1].

إن ابن القم في هذا الجزء من الرسالة يعاتب سبأ بن أحمد عتاباً مُرًّا موجعا، واعتمد في الانتصار لنفسه والثأر لها من سبأ بن أحمد على آلية بديعية هي الإيداع.

والإيداع كما عرفه ابن أبي الإصبع المصري هو أن يأتي الناثر في نثره بنصف بيت لغيره[2] أو أن يأتي الشاعر إلى نصف بيت لغيره يودعه شعره سواء أكان صدراً أم عجزاً[3].

---

(١) ينظر: معجم الأدباء ١٠/ ١٣٧، وفوات الوفيات ١/ ٣٨٥، والوافي بالوفيات ١٣/ ١٠، ١١، وصفحة ٨٩ من هذا البحث.

(٢) تحرير التحبير، صفحة ٣٨٠.

(٣) السابق، نفسه، والصفحة نفسها.



وفي رأيي أن الإيداع حسب هذا المفهوم صورة من صور التناص، لأنه عبارة عن آلية يُدْخِلُ بها الشاعر والكاتب في العمل الأدبي ما ليس منه من شعر غيرهما.

وابن القم في هذه الفقرة قد أودع البيت الأول من الأبيات الثلاثة الواردة بها نصف بيت لغيره، ذلك أن قوله: "وإذا يُحَاسُ الحيسُ يُدْعى جُنْدَبُ" هو عجز بيت ينسب لهنى بن أحمر، أو لزرافة الباهلي في العتاب يقول الشاعر[1]:

هل في القضية أنْ إذا استغنيتُمُ — وأمنتُمُ فأنا البعيدُ الأجْنَبُ
وإذا الكتائِبُ في الشدائِدِ مَرَّةً — حَجَرتْكُمُ فأنا الحبيبُ الأقربُ
وَلِجُنْدَب سَهْلُ البلاد وعذبُها — وَلِيَ المِلاحُ وحَزْنُهُنَّ الجُدِبُ
وإذا تكون كريهةٌ أدعى لها — وإذا يحاس الحيسُ يُدْعَى جُنْدَبُ
عَجَبًا لتلك قضية وإقامتي — فيكم على تلك القضية أعْجَبُ
هذا لعُمْركُمُ الصَّغارُ بعينِهِ — لا أمَّ لي إنْ كان ذاك ولا أبُ

أرأيت كيف استطاع ابن القم بالإيداع أن يثأر لنفسه، وينتقم لكرامته؟.

ويأتي التشهير عقب الإيداع مباشرة ليعلن ابن القم رفضه لهذه القسمة الجائرة، بل ليعلن رفضه للحياة، وضيقه بها، وعدم قدرته على تحملها.

ويتحدث الكاتب بعد ذلك إلى سبأ بن أحمد مقدماً قصيدته الهمزية التي أرفقها مع الرسالة فيقول: "وقد أصحب عبده هذه الأسطر شعراً يقصر فيه عن واجب الحمد، وإن بنيت قافيته على المد، وما يَعُدُّ نفسه إلا كمهدي جلد السِّبَنتي الأنمر إلى الديباج الأحمر... لا أقول كما قال القائل:

مَنْ يُسَاجلني يساجِلْ ماجداً — يملأ الدلو إلى عَقْدِ الكربْ

بل أضع نفسي في أقل المواضع، وأقول لمولاي قول الخاضع:

(١) اللسان، مادة حيس ٢/ ١٠٦٩.

فَأَسْبِلْ عليها ستر معروفك الذي سترتَ به قِدْمًا عليّ عُوارِي[1].

والكاتب في هذا المقطع الأخير من الجزء النثري من الخطاب يحرص على ما يسمى عند ابن أبي الإصبع المصري بحسن الخاتمة[2] وذلك بإظهار التواضع للأمير سبأ في ألفاظ وعبارات تجمع بين الرشاقة والجزالة، وقد تقاطع الكاتب في هذا المختتم مع الشعر العربي مرتين الأولى عند محاولته نفي ما قد يحمل كلامه من المباهاة والمفاخرة، والأخرى عند محاولته إظهار التذلل، وطلب السماح والستر، فعندما أراد نفي المباهاة تقاطع مع بين شعر للفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب وهو قوله في الفخر الذاتي[3]:

مَنْ يساجلني يساجل ماجداً يملأ الدّلو إلى عقد الكرب

وقد استعان في إظهار التذلل، وطلب السماح والعفو ببيت أبي نواسٍ المشهور الذي اختتم به قصيدته التي مدح بها العباس بن عبيد الله وهو قوله[4]:

فأسبلْ عليها سِتْرَ معروفِكَ الذي سَتَرْتَ به قِدْمًا عليَّ عُوارِي

كان هذا حديث التناص بوصفه أحد المتعاليات النصية التي أسهمت في إقامة معمار نص رسالة ابن القم في مديح سبأ بن أحمد واستعطافه.



(١) ينظر: معجم الأدباء ١٠/ ١٣٩ – ١٤٠، وفوات الوفيات ١/ ٣٨٥ – ٣٨٦، والوافي بالوفيات ١٣/ ١١، ١٢، وصفحة ٩٠، ٩١ من هذا البحث.

(٢) تحرير التحبير صفحة ٦١٦.

(٣) ينظر البيت في اللسان مادة سجل.

(٤) ديوان أبي نواس بتحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي صفحة ٤٣٥، ٤٣٦.

المبحث الثاني

التحويل النصي في رسالة المديح والاستعطاف

إن في رسالة ابن القم لونًا آخر من ألوان المتعاليات النصية هو التحويل النصيّ الذي يُعَرِّفُهُ جيرار جينيت "بأنه تلك الظاهرة النصية التي تكون فيها العلاقة بين نص لاحق بنص سابق، بحيث يكون له مرجعاً ونموذجاً إذ لا وجود للنص اللاحق دون النص السابق"[1].

ويرى جينيت "أن لهذا النوع من المتعاليات النصية ثلاثة أصناف هي المحاكاة الساخرة، والتحريف، والمعارضة."[2].

ولقد تحقق هذا اللون من ألوان المتعاليات النصية فيما ابتدأ به ابن القم رسالته من محاكاة أبي العلاء المعري وتقليده في تصنعه في رسائله لجلب مصطلحات العلوم اللغوية يقول الدكتور شوقي ضيف "ومعروفٌ أن أبا العلاء كان يتصنع في رسائله تصنُّعًا واسعاً لجلب مصطلحات العلوم اللغوية، وهو أول من نهج بقوة هذه السبيل ومهدها لمن جاءوا بعده، وها هو ذا ابن القم اليمني الذي يوشك أن يكون معاصراً له يتأثره في هذا الأسلوب الجديد."[3].

يقول ابن القم في مفتتح رسالته: "كتب عبد حضرة السلطان الأجل مولاي ربيع المجدبين، وقريع المتأدبين، جلاء الملتبس، وذكاء المقتبس، شهاب المجد الثاقب، ونقيب ذوي المناقب - أطال الله بقاءه، وأدام علوّه وارتقاءه ما أجابت العادية المستغير، ولزمت الياء التصغير، وجعل رتبته في الأولية وافرة السهام كحرف الاستفهام، وكالمبتدأ لأنه وإنه تأخر في البنية فإنه مقدَّم في النيَّة، ولا زالت حضرته للوفود مزدحما، ومن الحوادث حمى، حتى يكون في العلا بمنزلة

---

(١) في التعالي النص والمتعاليات النصية لمحمد الهادي المطوي، مرجع سابق صفحة ١٩٧.

(٢) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) عصر الدول والإمارات: الجزيرة - إيران - العراق ص٢١٧.

حروف الاستعلاء، فإنهن لحروف اللين حصون، وما جاورهن عن الإمالة مصون، ولا زال عدوه كالألف في أن حالها تختلف فتسقط في صلة الكلام، لا سيما مع اللام، ولا تكون أولاً بحال، وإن تقدم همز فاستحال..."[1].

ويشيد ابن القم بإحسان سبأ إليه فيقول: "إنه - أدام الله علوَّه - أحسن إليَّ ابتداء، ونشر عليَّ من فضله رداء، أراد إخفاءه فكشف خفاءه، ومن شرف الإحسان سقوط ذكره عن اللسان كالمفعول رُفِعَ رَفْعَ الفاعل الكامل لما حُذِفَ من الكلام ذِكْرُ العامل."[2].

والصلة واضحة كما يقول الدكتور شوقي ضيف بين هذا الاستهلال واستهلال أبي العلاء المعري في رسائله، ولنضرب لذلك مثلا بما جاء في رسالته الإغريضية إذ يقول داعياً للوزير المغربي "وجعل الله رتبتَه التي هي كالفاعل والمبتدا نظير الفعل في أنها لا تنخفضُ أبدا، فقد جعلني إن حضرتُ عُرِف شاني، وإن غبتُ لم يُجْهَل مكاني، كـ"يا" في النداء، والمحذوف من الابتداء، بعدما كنت كهاء الوقف إن أُلْغِيَتْ فبواجب، وإن ذُكِرَتْ فغير لازب، وإني وإنْ غَدَوْتُ في زمان كثير الدَّدِ[3] كهاء العددِ، لزِمَتِ المذكر فأتتْ بالمنكر، مع إِلْفٍ يراني في الأصل كألف الوصل، يذكرني لغير الثناء، ويطرحني عند الاستغناء، وحالٍ كالهمزة تُبْدَلُ العينَ، وتُجْعَلُ بين بين،وتكون تارة حرف لين، وتارة مثل الصامت الرصين، فهي لا تَثْبُتُ على طريقة، ولا تُدْرَكُ لها صورة في الحقيقة.."[4].

ولقد لاحظ الدكتور شوقي ضيف أن ابن القم يتأثر بأبي العلاء في ناحية

---

(١) ينظر: معجم الأدباء ١٠/ ١٣٢ وما بعدها، وفوات الوفيات ١/ ٣٨٢، وصفحة ٨١ و ٨٢ من هذا البحث.

(٢) المرجع السابق، وصفحة ٨٢ من هذا البحث.

(٣) الدَّدِ: اللهو والباطل.

(٤) رسائل أبي العلاء المعري، بتحقيق الدكتور إحسان عباس ١/ ١٩٥ - ١٩٩.



أخرى وهي الولوع بالتفريع، ونستطيع أن ندلل على ذلك بهذين النصين من الرسالة الإغريضية، ورسالة ابن القم يقول أبو العلاء "ما حاملة طوق من الليل، وبردٍ من المرْتَبع[1] مكفوف[2] الذّيل، أوفت الأشاء[3]، فقالت للكئيب ما شاء، تُسْمِعُهُ غَيْرَ مفهوم، لا بالرمل ولا بالمزموم كأن سجعيها قريض، ومراسلها الغريض، فقد ماد لشجوها العود[4]، وفقيدُها لا يعود[5]، تندُبُ هديلاً[6] فات، وأتيح له بعض الآفات بأشوق إلى هديلها من عبده."[7]. ويقول ابن القم "ما الرّوْض، ضاحكة النّوض، غُرِسَ وحُرِس، وسُقِي ووقى، وغِيْثَ وصِيْب، فأخذ من كل نوعٍ بنصيب زهاه الزهر، وسقاه النّهر، جاور الأضا فَحَسُنَ وأضا، رتعتْ فيه الفور، ومرِحَ العصفور، فأطلع من التمراد وقد ظفر بالمراد، فنظر إلى أقاحيه تفترُّ في نواحيه، وعلى البهار يضاحِكُ شمس النهار، فجعل يلثم من ورِدِه خدودا، ويهصر من غصونِه قدودا، ويقتبسُ النار من الجلنار، ويلتمس العقيق من الشقيق فغرد ثملاً، وغنّى خفيفا ورملا بأطيبَ من نفحتِهِ المسكيَّة."[8].

أرأيت كيف صار نص أبي العلاء مرجعاً ونموذجاً لنص ابن القم؟



(١) المرتبع: الذي ليس بطويل ولا قصير.

(٢) مكفوف: مشدود.

(٣) أوفت: أشرفت، والأشاء صغار النخل، جمع أشاءة.

(٤) ماد لشجوها العود: أي تمايل لهمها وحزنها، والعود هو الغصن.

(٥) وفقيدها لا يعود: يشير أبو العلاء إلى أن ما فقدته هذه الحمامة وهو فرخ الحمام الذي هلك في عهد نوح عليه السلام لن يعود إليها مهما ناحت.

(٦) تندب هديلا: الندب البكاء وتعداد محاسن الميت، والهديل الذكر من الحمام.

(٧) رسائل أبي العلاء المعري، بتحقيق الدكتور إحسان عباس ٢١٣ – ٢١٥.

(٨) ينظر صفحة ٨٢، ٨٣، ٨٤ من هذا البحث.



تحدثنا في الصفحات السابقة عن أربعة محاور من تلك التي من الممكن أن يدور حولها الحديث عند التعرض لرسالة المديح والاستعطاف التي أرسلها الكاتب والشاعر الفاطمي أبو عبد الله الحسين بن علي القم إلى رأس الدولة الصليحية في عصره سبأ بن أحمد.

ولقد ذكرت في المقدمة الأسباب الداعية إلى اختيار هذا الموضوع بالبحث، والمنهج الذي اتبعته في درسه، وحسبي هنا أن أشير إلى أهم ما خرجت به الدراسة من نتائج:

١- أنها أماطت اللثام عن شخصية أديب من أدباء العصر الفاطمي هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد بن مموية وذلك بما جاء فيها من حديث عن حياته، وعلاقته بكبار رجالات عصره، وآثاره الأدبية ومظانها، وأغراض شعره، ونثره ومنهجه في كتابة الرسائل الديوانية.

٢- أنها وضعت في بؤرة الدرس الأدبي والنقدي المعاصر نصًّا جديراً بالقراءة من نصوص أدبنا القديم المجهولة التي حازت على إعجاب الأدباء والنقاد على تتابع الأحقاب، ولم يلتفت إليها الدارسون المعاصرون.

٣- لاحظتُ أن ما ورد من نصوص شعر ابن القم في المصادر الأدبية والتاريخية يخلو من أيِّ ملمح يدل على تشيُّع صاحبه، وقد كنت أظن أن هذا من فعل العماد الكاتب في خريدته حيث دأب على حَذْفِ نصوص الشعر التي تتعلق بهذا الجانب وطَرْحِها عند حديثه عن أئمة الأدب من الفاطميين، ولكني وجدت أن صاحب الخريدة قد أورد في كتابه جميع ما دونه عمارة اليمني في تاريخه من شعر الرجل، ولعل في هذا ما يدل على أن عمارة كان رافضاً للتشيع.

٤- استطاع البحث أن يحدد تحديداً دقيقا تاريخ التحاق ابن القم بديوان الإنشاء

الصليحي، كما استطاع أن يكتشف طريقته في كتابة الرسائل الديوانية، والآليات التي كان يستخدمها في الصياغة والتعبير.

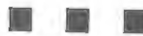
٥- أبان البحث أن رسالة المديح والاستعطاف التي أرسلها الكاتب إلى السلطان الشيعي الصليحي كانت تخلو من أي ملمح يدل على تشيُّع كاتبها، أو على تشيُّع المرسل إليه بها.

٦- كشف التحليل الأدبي لنصوص الشعر والنثر عن إحساس ابن القم اللغوي، وعن طريقته في بناء الجملة داخل النص.

٧- استطاع الباحث أن يقف على النصوص الشعرية التي أسهمت في تشكيل النص الأدبي عند ابن القم حيث كان هذا الأديب الفاطمي يمدُّ طرفه إلى نصوص شعر أبي العلاء المعري وإلى نصوص رسائله ليمتح منها فيما يعالج من موضوعات المديح أو العتاب أو الاستعطاف، كما كان يمدُّ طرفه ليستقي من شعر أبي تمام، وأبي نواس، وأبي الطيب المتنبي، وأبي عبادة البحتري وأضرابهم من شعراء العباسيين وممن استفاد من أشعارهم أيضاً إياس بن القائف، وهني بن أحمر الكناني، وعنترة بن شداد العبسي وعمير بن شييم القطامي وأضرابهم من شعراء الجاهلية وصدر الإسلام وبني أمية.

٨- لاحظ الباحث أن الكاتب كان كثير الاقتباس من القرآن الكريم في رسائله الديوانية، كما لاحظ أنه في شعره، وفي رسالة المديح والاستعطاف لم يقتبس شيئا من آي الكتاب العزيز على الإطلاق.

كانت هذه أهم ما توصل إليه البحث من نتائج، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.





١) بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، لعبد الرحمن بن على بن محمد بن عمر بن الدَّبيع، تحقيق عبد الله محمد الحبشي مركز الدراسات والبحوث اليمني، د. ت.

٢) تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، الجزيرة العربية – العراق – إيران، للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى ١٩٨٠م.

٣) تاريخ اليمن، لنجم الدين أبي محمد عمارة بن أبي الحسن على بن زيدان ابن أحمد الحكمي اليمني، تحقيق الدكتور حسن سليمان محمود، دار الثناء للطباعة، مصر، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

٤) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، تقديم وتحقيق الدكتور حنفي محمد شرف، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

٥) جامع البيان في تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري طبعة دار الغد العربي، القاهرة، د. ت.

٦) حسن التوسل إلى صناعة الترسل، لشهاب الدين أبي الثناء محمود بن سليمان بن فهد الحلبي، طبعة هندية، مصر، ١٣١٥هـ.

٧) خريدة القصر، وجريدة العصر، قسم شعراء الشام، للعماد الأصبهاني الكاتب، الجزء الثالث، عنى بتحقيقة الدكتور شكري فيصل، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.

٨) ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، سلسلة ذخائر العرب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م.

٩) خزانة الأدب وغاية الأرب، لتقي الدين أبي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي، شرح عصام شعيتو، دار مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

10) ديوان أبي عبد الله جمال الدين محمد بن حمير بن عمر الوصابي الهمداني المتوفى ٦٥١هـ، حققه وعلق عليه محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي. دار العودة، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٥م.

11) ديوان الحماسة، لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي. تحقيق الدكتور عبد المنعم صالح، طبع سلسلة الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.

12) ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د. ت.

13) ديوان القطامي. لعمير بن شييم القطامي التغلبي ، دراسة وتحقيق الدكتور محمود الربيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ٢٠٠١م.

14) رسائل أبي العلاء المعري، الجزء الأول، تحقيق الدكتور إحسان عباس دار الشروق، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

15) السلوك في طبقات العلماء والملوك، لأبي عبد الله بهاء الدين محمد ابن يوسف ابن يعقوب الجندي السكسكي الكندي، تحقيق محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

16) شرح أشعار الهذليين، صنعة أبي سعيد السكري، المجلد الأول، بتحقيق عبد الستار أحمد فراج، مراجعة محمود محمد شاكر دار العروبة، القاهرة ١٩٦٩م.

17) شرح ديوان أبي تمام، الجزء الأول، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة، مكتبة صبيح، الطبعة الأولى.

18) شرح ديوان الحماسة، لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، نشرة الأستاذين أحمد أمين، وعبد السلام هارون، القسم الثالث، الطبعة الثانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

19) شرح القصائد التسع المشهورات، صنعة أبي جعفر أحمد بن محمد

النحاس، تحقيقه أحمد أحمد خطاب. مديرية الثقافة العامة، سلسلة كتب التراث، العدد ٢٣، بغداد ١٣٩٢هـ ١٩٧٣م.
٢٠) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن للدكتورين حسين بن فضل الله الهمداني اليعبري الحرازي، وحسن سليمان محمود، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٥٥م.
٢١) عيون الأخبار وفنون الآثار للداعي عماد الدين إدريس بن الحسن الأنف، الجزء السابع، بتحقيق الدكتور أيمن فؤاد سيد، نشر معهد الدراسات الإسلامية، لندن.
٢٢) غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ليحيي بن الحسين بن القاسم ابن محمد، الجزء الأول، تحقيق الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م.
٢٣) فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي، الجزء الأول، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٣م.
٢٤) في التعالي النصي والمتعاليات النصية، لمحمد الهادي المطوي، مقال بمجلة المجلة العربية الثقافية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، السنة السادسة عشرة، العدد ٣٢، تونس، مارس ١٩٩٧م.
٢٥) القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية سنة ١٣٠١هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٢٦) قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، لأبي محمد الطيب بن عبد الله ابن أحمد بامخرمة، المجلد الثاني، دراسة وتحقيق عبد الرحمن محمد جيلان صغير، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٢٧) لسان العرب لابن منظور تحقيق عبد الله على الكبير وزملائه دار المعارف، القاهرة، د. ت، ونسخة أخرى إعداد وتصنيف يوسف خياط،

ونديم مرعشلي، قدم له الشيخ عبد الله العلايلي، دار لسان العرب، بيروت ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م.

٢٨) معجم الأدباء، لياقوت الحموي، الجزء العاشر، دار الفكر، بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٢٩) معجم متن اللغة، موسوعة لغوية حديثة، للعلامة اللغوي الشيخ أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.

٣٠) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للإمام فخر الدين الرازي، دار الغد العربي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣١) مفهوم الاستطراد عند البلاغيين وأسسه الجمالية، للدكتور نبيل نوفل، مقال بمجلة كلية الآداب جامعة الزقازيق فرع بنها، العدد الأول.

٣٢) مواد البيان، لعلى بن خلف الكاتب، تحقيق الدكتور حسين عبد اللطيف منشورات جامعة الفاتح، ١٩٨٢م.

٣٣) نهاية الأرب في فنون الأدب، لشهاب الدين النويري، الجزء الثالث والثلاثون، دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٣٤) نهاية القول المفيد في علم التجويد، لمحمد مكي نصر، راجع النسخة وصححها الشيخ على محمد الضباع، طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ربيع الآخر ١٣٤٩هـ.

٣٥) الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، الجزء الثالث عشر، باعتناء محمد الحجيري، سلسلة النشرات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية، طبع بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩١م.





الفهرس



ابن القم الزبيدي

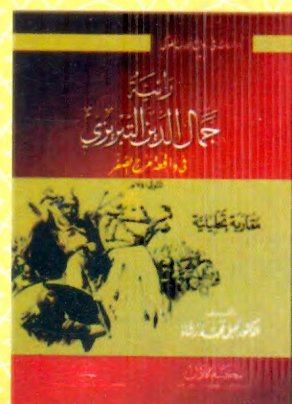
ورسالته إلى أبي حمير اليماني في المديح والاستعطاف

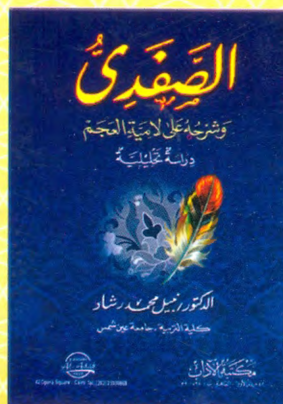
يقدم المؤلف في هذا الكتاب نصًا أدبيًا نفيسًا ينشر لأول مرة محققًا تحقيقًا علميًا بعد إخراجه من بطون كتب تراجم الرجال من مثل معجم الأدباء لياقوت الحموي، والوافي بالوفيات للصلاح الصفدي، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي، وهو نص " رسالة المديح والاستعطاف " التي كتبها رئيس ديوان الإنشاء الصليحي أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد بن ممويه المشهور بابن القم الزبيدي المتوفى ٤٩٨ هـ، وبعث بها إلى سلطان زمانه سبأ بن أحمد الصُّليحي المتوفى ٤٩٢ هـ.

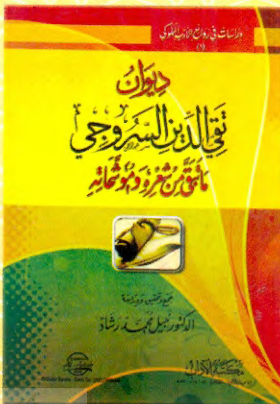
وإلى جوار تحقيق نص الرسالة قام المؤلف بدراستها، حيث عرَّف بالمرسل، والمرسَل إليه، ودرس بناءَيها الموضوعي والفني، وخرج من دراسته بنتائج مهمة تضيف جديدًا إلى ما تراكم في مخزوننا الثقافي من معارف أدبية.


ISBN 978 977 468 489 0

كتب للمؤلف
صدرت عن مكتبة الآداب







تباع كتبنا لدى المكتبات الكبرى : دار المعارف - الأهرام - الأخبار - الهيئة المصرية العامة للكتاب - روزاليوسف - الجمهورية ... ودار الأم للكتاب ٢٨شارع الدقى ت:٣٣٣٥٩٧١٩